الدبلوماسية الإلكترونية
دراسة في الماهية، المقتضيات، والتداعيات

أ.م.د. دانا على صالح البرزنجي

كلية العلوم السياسية، جامعة السليمانية، السليمانية، إقليم كوردستان، العراق

المستخلص- يعالج هذا البحث موضوعاً جديداً وحيوياً يتمثّل في الدبلوماسية الإلكترونية؛ فقد أصابت الدبلوماسية التغيير كأداة من أدوات السياسة الخارجية؛ وبرز نمط جديد من ممارسة العمل الدبلوماسي تجلت في إنشاء سفارات افتراضية ومواقع إلكترونية للوزارات الخارجية والمؤسسات الدبلوماسية، كما تجلت في الحضور الواسع للدبلوماسيين على مواقع التواصل الاجتماعي، واستخدام كل ذلك في الإدارة الدبلوماسية والدبلوماسية العامة لتحقيق الأهداف الدبلوماسية. يركز البحث على مفهوم الدبلوماسية الإلكترونية، كما أنه يسلّط الضوء على أهم الخصائص التي تميزها والفرص التي تتيحها للوحدات الدولية، وكذلك يركز على أهم مقتضياتها الضرورية، وتداعيات استخدامها من الإيجابيات والفرص إلى التحديات والمخاطر. ومع الفرص التي تتيحها هذه الدبلوماسية للوحدات الدولية في ممارسة علاقاتها الخارجية، نجد أن هناك مقتضيات كثيرة تستوجبها ممارسة هذه الدبلوماسية. وتوصّل البحث إلى إثبات فرضيته؛ فلا يكتب النجاح لدبلوماسية الوحدات الدولية إذا ما فشلت أو تغافلت عن توفير المستلزمات الرئيسة للدبلوماسية الإلكترونية، فهي بحاجة ماسة إلى استخدام هذه الدبلوماسية إن أرادت لدبلوماسيتها النجاح والتطور وإذا ما أرادت الاستجابة للتطورات الحاصلة في مجال الدبلوماسية وعالم تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، إذ التغافل عن ذلك سيعرّضها للعزلة عن المجتمع الدولي، ذلك لأن لعب الدور في العلاقات الدولية الآن على الصعيدين الرسمي والشعبي مرهون إلى حد كبير بالدبلوماسية الإلكترونية، لا سيما في مجال الدبلوماسية العامة، إذ إنها تشكل قنوات اتصال أسرع وأكثر كفاءة من القنوات التقليدية ويمكن أن تصل إلى جمهور أوسع، فضلاً عن الإمكانات الإدارية والهيكلية والمعلوماتية التي توفرها.

الكلمات الدالة- الدبلوماسية الإلكترونية، العلاقات الدبلوماسية، وسائل التواصل الاجتماعي، الدبلوماسية العامة، السياسة الخارجية، العلاقات الدولية.

المقدمة

إن حقل العلاقات الدولية بشكل عام، نظراً لطبيعة مواضيعها التي هي في تغيير مستمر، بحاجة إلى دراسات متجددة، تأخذ بعين الاعتبار التطورات الحاصلة في مجالاته، أو في مجالات أخرى ترتبط بشكل أو بآخر بمجريات العلاقات الدولية على أرض الواقع أو تتعلق بالمفاهيم التي تؤطر الجانب النظري لهذا الحقل. وبما أن الدبلوماسية لا تزال هي "الغرفة المحركة للعلاقات الدولية" (Sharp, 1999, p.33)، وأن التطور التكنولوجي الهائل، أو ما تسمى بالثورة التكنولوجية، تعتبر أحد أهم المتغيرات التي أثرت وتؤثر باستمرار في حقل العلاقات الدولية على الصعيدين النظري والعملي وبشكل غير مسبوق، فقد أصبح الباحثون المتخصصون من جهة مُجبَرين على إعادة النظر في المفاهيم التقليدية الدارجة في الحقل وإيجاد تعديلات فيها بما يتوائم والتطور الحاصل على المستوى العملي، ومن جهة أخرى أضحت الدول والوحدات الدولية الأخرى مضطرة للعمل وفق المعطيات الجديدة وصياغة سياساتها واستراتيجياتها بما يتوائم مع المعطيات الجديدة والتطورات الحاصلة على أرض الواقع، ولاسيما في مجال الآليات المستخدمة في العلاقات الدولية والدبلوماسية.

من هنا تكمن **أهمية البحث** في أن موضوعه يحظى بأهمية نظرية وعملية؛ فحقل العلاقات الدولية، ولاسيما العلاقات الدبلوماسية، بحاجة إلى دراسات تنظيرية تؤطر المفاهيم الجديدة التي تطرأ على الحقل، لاسيما في ظل ندرة الدراسات النظرية الرصينة في مجال الدبلوماسية الإلكترونية وباللغة العربية بالذات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، تسترشد الوحدات الدولية بالدراسات التي تهتم بالوسائل التي تستخدمها هذه الوحدات في علاقاتها الدولية، إذ إن موضوع الدبلوماسية الإلكترونية جديد ويحظى بالحيوية، كما تتطلع الوحدات الدولية كافة إلى استخدامها كأحد عناصر القوة.

وعليه فإن **أهداف البحث** تكمن أولاً في تقديم موجز علمي نظري دقيق حول ماهية الدبلوماسية الإلكترونية، ودورها في العلاقات الدولية، فضلاً عن التركيز على مقتضياتها، إيجابياتها ومخاطرها. وثانياً في تقديم دليل أكاديمي للوحدات الدولية تسترشد

مجلة جامعة التنمية البشرية
المجلد5 ، العدد2 (2019) ؛ عدد الصفحات (17)؛ معرف الكائن الرقمي: 10.21928/juhd.v5n2y2019.pp20-36
أُستلم البحث في 15 شباط 2019؛ قُبل في 10 آذار 2019
ورقة بحث منتظمة: نُشرت في 11 نيسان 2019
البريد الإلكتروني للمؤلف : dana.salih@univsul.edu.iq
حقوق الطبع والنشر ©2019 دانا على صالح البرزنجي. هذه مقالة الوصول اليها مفتوح موزعة تحت رخصة المشاع الإبداعي النسبية - CC BY-NC-ND 4.0

بها للتعرف على دور الدبلوماسية الإلكترونية ومخاطرها وفوائدها وضرورة الاستفادة منها.

أما **إشكالية البحث** فإنها تدور حول ماهية الدبلوماسية الإلكترونية ومقتضياتها وتداعيات استخدامها في العلاقات الدولية، يمكن التعبير عنها بالأسئلة الآتية: ما هي الدبلوماسية الإلكترونية؟ وما مدى ضرورة استخدامها من قبل اللاعبين الدبلوماسيين؟ وما هي مقتضياتها وشروط نجاحها؟ وما هي تداعيات استخدامها؛ إيجابياتها ومخاطرها؟

من هنا جاءت **فرضية البحث** لتؤكد أن الدبلوماسية الإلكترونية التي طرأت في حقل العلاقات الدولية بسبب التطور التكنولوجي الهائل في مجال المعلومات والاتصالات، هي نمط ابتكاري ضروري للتعامل بين الوحدات الدولية بأصنافها كافة، ولها دور كبير في سير العلاقات الدولية، سواء في شطر التعاون أم الصراع، وفي حين أنها تتميز بخصائص نوعية مهمة وتوفّر فرص عديدة للدول، فإنها تتطلب مستلزمات ومقتضيات ضرورية لنجاحها، كما تشوبها مخاطر جدّية، وبالتالي فإن أحد معايير نجاحها تعتمد بشكل كبير على مدى توفير مستلزماتها الضرورية، والعمل على تحجيم مخاطرها. كما أن استخدامها السليم والنشط والحذر هو أحد معايير نجاح دبلوماسية الوحدات الدولية، لاسيما الدبلوماسية العامة.

ونظرا لطبيعة البحث، وتلافياً للنقص الذي قد يحصل جرّاء اعتماد **منهج** واحد، تمّ استخدام أكثر من منهج لدراسة الموضوع، فبالإضافة إلى استخدام المنهج الوصفي والمنهج التحليلي لمعرفة أهم الخصائص المميزة للدبلوماسية الإلكترونية وتحليل مقتضياتها وتداعيات استخدامها من قبل الوحدات الدولية. تم الاعتماد على المنهج الإحصائي لدراسة ازدياد اعتماد الوحدات الدولية والدبلوماسيين على الوسائل الدبلوماسية الجديدة للتواصل والعمل الدبلوماسي.

ينطلق البحث من ثلاثة **نُطُق**، وهي: النطاق المعرفي: يقع البحث في إطار حقل العلاقات الدولية، حيث يركز على أحد أنواع المعاصرة للدبلوماسية، ألا وهو الدبلوماسية الإلكترونية. والنطاق المكاني: على الرغم من أن اهتمام البحث ينصب على الوحدات الدولية بشكل عام، إلا أن التركيز يتم على الدول باعتبارها أهم الوحدات الدولية في العلاقات الدولية لحد الآن، والتي لها إقليمها المحدد. والنطاق الزماني: يتحدد النطاق الزمني للبحث ببداية الألفية الجديدة إلى يومنا هذا، حيث شهدت هذه الفترة ظهور وانتشار كبير للأدوات التكنولوجية التي تعتمد عليها الوحدات الدولية في علاقاتها الدولية.

وبالنسبة **للدراسات السابقة**، فنظراً لحداثة موضوع الدبلوماسية الإلكترونية في العلوم السياسية، من الطبيعي أن نقرّ بندرة الدراسات النظرية الرصينة حول هذا الموضوع، فلم أجد بحوثاً أو دراسات أكاديمية رصينة حول الموضوع باللغتين الكردية والعربية إلا قلة قليلة من البحوث والمقالات باللغة العربية، والتي لا تعبّر عن دراسات نظرية مجدية بمعنى الكلمة، ولكن توجد دراسات جدّية تعبر عن بداية نظرية جيدة للدبلوماسية الإلكترونية باللغة الإنجليزية، أهمها: أوراق بحثية حررها (Volker Stanzel) بعنوان (New Realities in Foreign Affairs: Diplomacy in the 21st Century) والتي نشرت عام (2018) تركز على جوانب مهمة من آثار الثورة المعلوماتية في مجال الدبلوماسية. ورسالة ماجستير لـ(Delali Anne Peace Senya) بعنوان (The Benefits and Challenges Of Electronic Diplomacy (E-Diplomacy) To Developing Countries: The Cace of Ghana)، مقدمة إلى جامعة غانا عام (2016)، ركزت على فوائد الدبلوماسية الإلكترونية وتحدياتها للدول النامية، وأخذت دولة (غانا) كدراسة حالة، وتناولت تأثير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المتقدمة على الممارسة الدبلوماسية في غانا، في حين أن الدول المتقدمة هي سبّاقة في هذا المجال. وباللغة العربية هناك بحث بعنوان: "الدبلوماسية الرقمية ومكانتها في السياسة الخارجية الفلسطينية، أعدّها د.وائل عبد العال، ونشرته جامعة بيرزيت عام (2018). لكننا في هذا البحث بالإضافة إلى ضبط المفهوم، نريد التطرق إلى أهم مقتضيات الدبلوماسية الإلكترونية وكذلك كيفية استخدام الدول والوحدات الدولية لها. وكذلك إيجابيات استخدام هذه الدبلوماسية ومخاطرها غير التقليدية.

وتنقسم **هيكلية البحث** إلى ثلاثة أجزاء وفق نظام رقمي، فضلاً عن المقدمة والاستنتاجات، ففي الجزء الأول تمّ التطرق إلى ماهية الدبلوماسية الإلكترونية في إطارها النظري، أما الجزء الثاني فقد جاء للتعرّف على مقتضيات الدبلوماسية الإلكترونية، وتمّ تخصيص الجزء الثالث والأخير لتداعيات استخدام الدبلوماسية الإلكترونية. واختُتم البحث بجملة استنتاجات لإفادة المختصين والدارسين وصناع القرار.

1. ماهية الدبلوماسية الإلكترونية

1-1. ضبط المفهوم

قبل الخوض في تحديد مفهوم الدبلوماسية الإلكترونية، يتوجب علينا توضيح ثلاث نقاط مهمة:

النقطة الأولى: نظراً لأن تقديم تعريف دقيق للدبلوماسية هو بمثابة تعريف لحدود مجال الدراسات الدبلوماسية، ينبغي أن نقدم تعريفاً معاصراً للدبلوماسية بما يتوائم وحداثة الموضوع (الدبلوماسية الإلكترونية)، ونتجاوز في هذا المجال الإتجاه التقليدي الذي يركز في تعريف الدبلوماسية على أنها "إدارة العلاقات الدولية من خلال المفاوضات، والأسلوب الذي يستخدمه السفراء والمبعوثون لإدارة وتسوية هذه العلاقات، وهي وظيفة أو فنّ الدبلوماسي". (Nicolson, 1942, p.15)، أو "هي أداة تنظيم وتسيير الشؤون الخارجية للدول بما يتماشى مع مصالحها الوطنية" (العجرمي، 2011، ص11)، ذلك لأن هذا الاتجاه تقليدي ولا يتوائم مع التطور الحاصل في المجتمع الدولي الآن.

وبدلاً من ذلك، نتجه إلى الاتجاه الجديد الذي وسّع دائرة اللاعبين الدبلوماسيين لتشمل غير الدول، مادام هؤلاء اللاعبون قادرون على التمثيل والاتصال فيما بينهم. قدّم في هذا الإطار (جيفري بيجان-Geoffrey Allen Pigman) تعريفاً جديداً للدبلوماسية، حيث قال: "الدبلوماسية هي دراسة التمثيل والاتصال بين اللاعبين الدوليين بما فيها الحكومات والمؤسسات متعددة الأطراف ومنظمات المجتمع المدني والشركات الكبرى". (Pigman, 2014, p.21)

من هنا نقدم تعريفاً جديداً للدبلوماسية بأنها: "فن وعلم وقانون إدارة العلاقة بين الوحدات الدولية من أشخاص القانون الدولي العام وكذلك الفاعلون الجدد من غير الدول في أوقات السلم والحرب، من أجل تحقيق مصالح خاصة أو مشتركة أو عامة وتطويرها أو لدرء المخاطر والتحديات".

النقطة الثانية هي أننا في البداية لابدّ أن نشير إلى أن هناك أنواعاً عدة للدبلوماسية، كما أن هناك معايير متنوعة لتصنيف أنواع الدبلوماسية (بترزنجي، 2017)؛ أحد هذه المعايير يعتمد على الوسيلة المستخدمة في الدبلوماسية، وبالنسبة للدبلوماسية الإلكترونية ينطبق عليها هذا المعيار؛ إذ إن هذا المصطلح يعتمد بالأساس على استخدام الوسائل الإلكترونية الجديدة في عالَم الدبلوماسية. وبما أننا الآن لسنا بصدد التركيز على تصنيف أنواع الدبلوماسية، فمباشرة نحاول تحديد أطر معينة لضبط مفهوم الدبلوماسية الإلكترونية.

النقطة الثالثة هي أن هناك جدل كبير حول مفهوم الدبلوماسية الإلكترونية، حتى على مستوى تسمية المصطلح، وهو مصدر ارتباك أو سوء فهم في مناقشة الدبلوماسية، فهناك مصطلحات تستخدم للتعبير عنها، مثل الدبلوماسية الإلكترونية "E-Diplomacy"، ودبلوماسية الشبكة "Net Diplomacy" و الدبلوماسية الافتراضية "Virtual Diplomacy" والدبلوماسية الرقمية "Digital Diplomacy"، والدبلوماسية السيبرانية "Cyber Diplomacy". وقد استخدم البعض "الدبلوماسية 2.0" أو تويبلوماسي "Twiplomacy". في الحقيقة، كل هذه المصطلحات إن دلّت على شيء فإنها تدلّ على أثر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الدبلوماسية. ومع أن البعض يرى أن هذا يعكس التفضيل الشخصي أو الأسلوبي للمستخدم أو الكاتب (Pierinmi, 2016/2017, pp.16-17)، وقد يستخدمها الكتاب كمصطلحات مترادفة، ولا يميزون بينها، إلّا أنها في حقيقة الأمر يمكن التمييز، ولو جزئياً، بين بعض هذه المصطلحات ومجالات استخدامها.

بدورنا فضّلنا مصطلح "الدبلوماسية الإلكترونية" كوصف للدبلوماسية هنا باعتبارها أشمل مجالاً وأدق تعبيراً، فلا نستطيع تطبيق الرقمية تماماً على أرض الواقع، إذ نحن كبشر لا نستطيع أن نتفاعل مع عالم رقمي بحت، ولا يمكن للبرمجيات المتوفرة حاليًا إدارة عالم رقمي محض (Bosse, 2015)، لكن مع ذلك نستخدم مصطلح "الدبلوماسية الرقمية" أيضاً؛ إذ إن محاولة رسم خطوط حادة بين المصطلحين أمر صعب وإن حدود أي منهما غير محددة بشكل دقيق من جهة، ومن جهة أخرى تتوائم دلالات المصطلحين بأشكال مختلفة مع مضامين البحث ومواضيعها. أما المصطلحات الأخرى المتداخلة قد تعبّر بشكل أو بآخر عن مضامين مختلفة جزئياً، فمثلاً يتعلّق مصطلح "الدبلوماسية 2.0"، بالتطور الذي شهده الإنترنت في بداية القرن الحادي والعشرين في إطار مجموعة متنوعة من التقنيات التي تم دمجها لإنشاء ما يُعرف باسم (الويب 2.0)، وبالتالي تميزت هذه المرحلة بالشبكات الاجتماعية والإعلام الاجتماعي، والمستخدم الفردي، وليس فقط وسائل الإعلام التقليدية. والميزة الحيوية هي استخدام الإنترنت ليس فقط كـ"وسيلة اتصال" ولكن أيضًا كـ"نظام أساسي". وبعد أن غيّرت وسائل الإعلام الاجتماعية العالم الذي نعيش فيه، غضون بضع سنوات فقط، ظهرت مصطلحات "الدولة الإلكترونية 2.0"، "الديمقراطية 2.0" و"الثورة 2.0" (Milina, 2012, p.54)، وكذلك "الدبلوماسية 2.0".

وحسب وجهة نظر (جبرائيل بيرينمي) (Pierinmi, 2016/2017, p.19) أنه في الوقت الحالي، "E-" هي البادئة المفضلة للأنشطة المتعلقة بالعمل، وتمّ التخلي عن "الشبكة" تقريبًا، ويتم استخدام "الافتراضية" بمعنى الشعور بعدم الأمان. مع ذلك، فقد تمّ قبول "الرقمية" و "السيبرانية" وتمّ توظيفها بشكل كبير من قبل العديد من الحكومات والمنظمات في التعامل مع الإنترنت، ويصبح التمييز الدقيق ضرورياً عندما ترتبط الكلمتان مباشرة بمصطلح "الدبلوماسية". فينبغي استخدام الدبلوماسية السيبرانية للأدوات الدبلوماسية اللازمة لحل القضايا الناشئة في الفضاء السيبراني (مثل الأمن السيبراني، والجريمة السيبرانية، والإرهاب السيبراني، وما إلى ذلك). وقد اختفت كلمة "السيبرانية" تدريجياً من الاستخدام العام، منذ أوائل العقد الأول من هذا القرن، واقتصر استخدامها الآن في مصطلحات الأمن. (Kurbalija, 2013, pp.394-395).

برز الاهتمام العملي بالدبلوماسية الإلكترونية منذ بدايات الألفية الجديدة؛ فقد أنشأ مكتب إدارة المعلومات والموارد التابع لوزارة الخارجية الأمريكية "مكتب الدبلوماسية الإلكترونية" في عام (2003). وتتمثل مهمة هذا المكتب في تعزيز الدبلوماسية من خلال توفير مبادرات مشاركة المعرفة الفعالة، والتوجيه بشأن تقارب التكنولوجيا والدبلوماسية، واستشارات حول الطراز الأول لتكنولوجيا المعلومات (Senya, 2016). وقد ظهرت الدبلوماسية الإلكترونية كتجربة لعدد من وزارات الخارجية والرواد الدبلوماسيين، ومن الأمثلة المبكرة على الدبلوماسية الإلكترونية سفارة السويد الافتراضية لحياة ثانية (Second Life)، التي تم إطلاقها عام (2007)، وتشكيل فريق تواصل رقمي أمريكي في عام (2006)، ولكن أصبح الآن ممارسة قياسية للمؤسسات الدبلوماسية في جميع أنحاء العالم(Manor, 2018, p.3).

وبشكل عام، أصبح استخدام التكنولوجيا الرقمية في الدبلوماسية خلال العقد الماضي متنوعًا بشكل متزايد ضمن نطاق الدبلوماسية العامة التي تعنى بإدارة سمعة الدولة خارج أراضيها. وهي جزء من "القوة الناعمة" التي تعتمد على الصور والرموز والمحاكاة والمعلومات التي تدار بوعي لإقناع الآخرين بالعمل بالطريقة المرغوبة، وهي أحد عناصر استراتيجية القوة الناعمة وجزء خاص من السياسة الخارجية تقتضي العمل في مجالات غير سياسية لتمثيل الدولة، مثل الثقافة والتجارة والمجتمع. (Hoffmann, 2013, p.8)، وفي هذا الإطار استخدم السفراء النرويجيون الـ(Skype) للتحدث مع طلاب الجامعات، بينما استخدمت فلسطين الـ(Facebook) كوسيلة للتعامل مع المواطنين الإسرائيليين، وقامت وزارة الشؤون الخارجية الهندية بتطوير ألعاب الكمبيوتر لأطفال الهنود المغتربين، في حين قدمت وزارة الجاليات الجورجية دورات دراسية عبر الإنترنت باللغة الجورجية، وقامت سفراء الأمم المتحدة بتوظيف الـ(WhatsApp) لتنسيق أصواتهم على قرارات مختلفة، بينما استخدم وزارة الخارجية الكينية الـ(Twitter) لتسليم المساعدات القنصلية الطارئة. إذاً، أصبح استخدام التكنولوجيا الرقمية في الدبلوماسية الآن ظاهرة عالمية. وقد عمل جميع مؤسسات وزارة خارجية كل من مصر والأردن وقطر على تشغيل ملفات وسائط التواصل الاجتماعي، كما وضعت كينيا ورواندا وأوغندا ودول أخرى سياسات للتواصل الرقمي للمغتربين (Manor, 2018).

وفي الإطار نفسه، اعتمد مكتب الشؤون الخارجية والكومنولث في المملكة المتحدة (FCO)، عام (2012)، استراتيجية رقمية برؤيتين رئيستين: الأولى هي استخدام التكنولوجيا الرقمية في كل جانب من جوانب عملها في مجال السياسة الخارجية، والثانية هي توفير الخدمات الرقمية الافتراضية. وتماشيا مع هذه الاستراتيجية الرقمية، أنشأت وزارة الخارجية البريطانية وحدة تحويل رقمية في (2014). (Senya, 2016, p.2)

وقد شهد العقد الماضي اهتمامًا أكاديميًا متزايدًا بالدبلوماسية الإلكترونية لتقييم الممارسات الرقمية للسفارات والدبلوماسيين ومؤسسات الوزارات الخارجية وقادة العالم. (Manor, 2018, p3).

اختزل (ولسون ديزارد) (Dizard, 2001, p.552) "الدبلوماسية الرقمية" في إطار ضيق بقوله: "إنها تشير إلى السياسات والمفاوضات المتعلقة بأي شيء يتعلق بالاتصالات، بما في ذلك الأقمار الصناعية، وموجات الراديو، وحملات الدعاية، ووسائل الإعلام العالمية، وتكنولوجيا المعلومات، وتدفقات البيانات الدولية".

وهناك تعاريف أخرى تركز على دور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الميدان الدبلوماسي؛ أبرزها تعريف (هانسون) (Hanson, 2012. P.3) للدبلوماسية الإلكترونية، الذي يقول ببساطة: "إنها استخدام الإنترنت والتكنولوجيا الجديدة للمعلومات والاتصالات من أجل تحقيق الأهداف الدبلوماسية". وتعريف آخر يرى أن الدبلوماسية الافتراضية تعني دمج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الجديدة، وخاصة الإنترنت، في ممارسات الدبلوماسية على جميع المستويات من أجل تسهيل تحقيق أهداف الدبلوماسية. (Saddiki, 2006, p.98)

وفي السياق ذاته، جاء مصطلحان جديدان في هذا المجال، وهما تويبلوماسي "Twiplomacy" و دبلوماسية الفيسبوك "Facebook Diplomacy"، ذلك نتيجة لقيام وزارات خارجية ووكلائها بنشاطات كثيرة على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، أبرزها (Twitter) و(Facebook). كما ظهر ما يسميه البعض بـ(دبلوماسيّة السيلفي-Selfie) (عبدالحسين)، إشارة إلى استخدام بعض الرؤساء والدبلوماسيين لأخذ الصور بطريقة السيلفي مع آخرين، في محاولة لجذب الجمهور وفي إطار الدبلوماسية العامة.

وتصف مؤسسة ديبلو (Diplo Foundation, 2015) الدبلوماسية الرقمية بأنها "طرق جديدة وأساليب جديدة لإجراء الدبلوماسية والعلاقات الدولية بمساعدة الإنترنت وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات". أي إن كثيراً من الباحثين يرون أنه ينبغي استخدام مصطلح الدبلوماسية الرقمية للإشارة إلى الأدوات الرقمية المستخدمة في إجراء النشاط الدبلوماسي (الذي يشمل المهام التقليدية للسفارات والقنصليات، مهام وزارة الخارجية، والمفاوضات بين الدول والمنظمات، وما إلى ذلك). وبهذا المعنى، الدبلوماسية الرقمية، بدلاً من أن تكون هدفا في حد ذاته، تمثل مجموعة كاملة من الإجراءات التي تستخدم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للقيام بأنشطتها. وهناك ميل لدمج نشاطين مختلفين تمامًا: استخدام الأدوات الرقمية للقيام بإدارة الأنشطة الدبلوماسية من جهة، ومن جهة أخرى، استخدام هذه الأدوات للبحث عن حلول للقضايا الناشئة في الفضاء السيبراني. (Pierinmi, 2016/2017, p.20)

وفي محاولة لتوسيع المفهوم، اقترح (Ilan Manor) (2018, pp.4-5) مصطلح "رقمنة الدبلوماسية the digitalization of diplomacy" في إشارة إلى تأثير التقنيات الرقمية على الدبلوماسية، بحجة أن هذا المصطلح أكثر شمولاً يغطي تأثير التكنولوجيات الرقمية على المفاهيم والممارسات والمؤسسات الدبلوماسية. ويرى بأن "رقمنة الدبلوماسية" هو مصطلح يركز على التأثير المعياري والزمني للتكنولوجيات الرقمية. وأن الرقمنة عملية طويلة الأجل، يتجاوز تأثيرها بكثير استخدام التقنيات المبتكرة.

وهناك اتجاه آخر يحدد إطار المصطلح بحدود ضيقة، ويعتبرها شكلاً من أشكال الدبلوماسية العامة. فمثلاً يرى كل من (Manor) و(Segev) و(Kampf) (Manor, et al., 2015)، إلى أن الدبلوماسية الرقمية تشير بشكل رئيس إلى الاستخدام المتزايد لمواقع التواصل الاجتماعية والإعلام من قبل الدول من أجل تحقيق أهداف سياستها الخارجية وتحسين صورتها وسمعتها؛ أي إن الدبلوماسية الرقمية تعتبر شكلاً جديداً من الدبلوماسية العامة.

من هنا يرى كثير من المختصين أن الدبلوماسية الإلكترونية هي شكل من أشكال الدبلوماسية العامة، وتنطوي على استخدام التكنولوجيا الرقمية ومواقع التواصل الاجتماعي من أجل التواصل مع الجمهور الأجنبي. (عبدالعال، 2018، ص8-9).

صحيح أن الدول قد تستخدم وسائل الإعلام الاجتماعية كأداة جديدة للمشاركة العامة في الدبلوماسية. ومن الممكن أن تشكل الدبلوماسية الإلكترونية شكلاً جديداً من أشكال الدبلوماسية العامة. إذ إن الحكومات الآن بحاجة إلى دبلوماسية عامة جديدة قادرة على التعامل مع بيئة إعلامية عالمية وبناء علاقات طويلة الأمد مع الجماهير الأجنبية، من خلال الاتصال التفاعلي، أي من خلال اتصال ذو اتجاهين(Manor, et al., 2015, p.7)، ولكن تطورت الدبلوماسية الرقمية من الدبلوماسية العامة، وعرّفت بصورة أشمل وأدق بأنها "أداة تستخدمها الدول لفهم الثقافات والمواقف والسلوك؛ وبناء العلاقات وإدارتها؛ والتأثير على الأفكار وتعبئة النشاطات اللازمة لتطوير مصالحها وقيمها"(Adesina, 2016, p.173).

وفي حين كانت الدبلوماسية العامة تستهدف بشكل تقليدي السكان الأجانب، فإن الدبلوماسية الرقمية تستهدف السكان المحليين أيضاً، وذلك من خلال عنصرين للدبلوماسية الرقمية: المشاركة؛ والاستماع، وبالتالي فالدبلوماسية الإلكترونية أو الرقمية هي مصطلح يمكن أن يشير إلى شكل جديد تماما من الدبلوماسية. (Manor, 2018, pp.3,7) نعم، قد تعتبر الدبلوماسية الإلكترونية نوعاً من الدبلوماسية العامة، لكنها تضم أيضًا جوانب أخرى، منها: (Hocking & Melissen, 2015, pp.5-6)

- تغيير جداول أعمال السياسة الخارجية: إذ سرعة الأحداث يؤدي إلى عدم التمكن من السيطرة التامة على جداول الأعمال؛ كما أن خطوات العمل والهياكل التنظيمية ينبغي أن تتكيف مع الدبلوماسية الشبكية في العصر الرقمي.

- أجندات الإنترنت: الدبلوماسية الإلكترونية كمجموعة من المشاكل والسيناريوهات التفاوضية: على سبيل المثال حرية الإنترنت وحوكمة الإنترنت والأمن السيبراني.

- إدارة المعرفة: مشكلة إدارة البيانات بفاعلية - بما في ذلك البيانات الضخمة- واستخدام الموارد لتحقيق أفضل النتائج.

- تقديم الخدمات: استخدام الموارد الإلكترونية في أداء العمل القنصلي وإدارة الأزمات.

إذاً، فالدبلوماسية العامة هي المجال الأكثر إثارة للاهتمام في هذا النقاش المتعلق بالمجال الإلكتروني، فقد خلقت مواقع الشبكات الاجتماعية ديناميات جديدة وفتحت مجموعة كبيرة من الفرص غير المسبوقة.

من هنا تعدّ الدبلوماسية الإلكترونية من الأشكال الجديدة التي ظهرت نتيجة للتطور التكنولوجي الهائل، لاسيما بعد ظهور مواقع التواصل الاجتماعي، التي لم تعد مقتصرة على الأفراد، بل تستخدمها الوحدات الدولية أيضاً (عبدالعال، 2018، ص8) بكفاءة وفاعلية، من أجل تحقيق أهدافها.

نستنتج مما سبق، أن الدبلوماسية الإلكترونية هي نمط جديد من الدبلوماسية تعتمد على وسائل جديدة ومبتكرة في إطار العمل الدبلوماسي للوحدات الدولية، وتستخدم في إطار تفاعلي لصياغة سياسات عديدة وتنفيذها، وكذلك لتسهيل المهام والوظائف الدبلوماسية الإدارية والمعلوماتية وممارسة نوع جديد من الدبلوماسية العامة، ليس على المستوى الخارجي فقط، بل على المستوى الداخلي أيضاً.

وعلى الرغم من تحقيق الدبلوماسية الإلكترونية نتائج ملموسة على أرض الواقع، بما جعلتها تصعد على مسرح العلاقات الدولية في السنوات الأخيرة، إلا أنها لم تلقَ المستوى المطلوب من التنظير العلمي والتعريف المفاهيمي، وهذا يوحي بسرعة التكنولوجيا التي تسبق تداعياته التنظير العلمي للمفاهيم.

2-1. أهمية الدبلوماسية الإلكترونية والهدف منها

أطلق أحد الدبلوماسيين البريطانيين عبارة شهيرة حول أهمية الدبلوماسية الإلكترونية، مفادها: "إن الدبلوماسي الأكثر فعالية في هذا العصر الرقمي، هو من يحمل بيده (الآيباد) بدلاً من أوراق اعتماده" (نقلاً عن: دياب، 2016، ص35). وهذا التعبير يعبّر عن أهمية استخدام الدبلوماسيين لتكونولوجيا الاتصال الجديدة في العملية الدبلوماسية والذي يساهم في دمج الدبلوماسية العامة الإلكترونية في عملية صنع قرار السياسة الخارجية، حيث تساهم هذه الدبلوماسية في تمكين السياسة الخارجية عن طريق إيصالها إلى جمهور خارجي، وذلك من خلال شرح أهدافها ومقاصدها، والدفاع عنها وحمايتها من التشويه، واعتماد الإطار الفلسفي لها، إذ إن السياسة الخارجية أصبحت الآن -في جانب منها- صراعا بين الخطاب التفسيري للدول المتنافسة على النفوذ إقليميا ودوليا (الرويتع، 2013)، لا سيما إذا ما علمنا أنه من المتوقع أن يكون (3.02) مليار شخص؛ أي (38٪) من سكان العالم، متواجداً على وسائل التواصل الاجتماعي بحلول عام 2021، وهو معدل سريع النمو بسبب اختراق الهواتف المحمولة على مستوى العالم، والإطلاق المتوقع لتكنولوجيا الجيل الخامس في السنوات القليلة القادمة، وهذا يزيد من أهمية وجدوى اتباع الدبلوماسية الرقمية. (Bjola, 2018-A)

فالسياسات الدولية، في عصر المعلومات، تتطلب صياغة إدراك الجمهور الدولي، ذلك لأن الإعلام الاجتماعي أصبح أمراً لا غنى عنه في الوظيفة الدبلوماسية الحديثة، ولايمكن الإغفال عن مواطني الإنترنت الذين أصبحوا جزءا من المناقشات المتعلقة بالسياسة الخارجية. (الرويتع، 2013)

ولا يتوقف أهمية الدبلوماسية الرقمية في الترابط والحوار مع الجماهير الأجنبية كشرط للنجاح في السياسة الخارجية، بل إن الدبلوماسية العامةَ يمكن أن تسعى إلى تحقيق مجموعة واسعة من الأهداف، مثلاً في مجال الحوار السياسي والتجارة والاستثمار الأجنبي، وإنشاء الروابط مع مجموعات المجتمع المدني، إذاً ليست هي أداة ناعمة فحسب، بل لديها أيضًا أهداف متعلقة بالقوة الصارمة مثل إدارة التحالفات، ومجال الصراع أو التدخل العسكري. (Melissen, 2005, p.14)

إذاً، تعمد قادة العالم والحكومات وبعثاتها الدبلوماسية في جميع أنحاء العالم، إلى استخدام الإنترنت ووسائل الاتصال المعاصرة، ولاسيما وسائل التواصل الاجتماعي، إذ إن هذه الوسائل باتت الوسيلة الفضلى للوصول إلى الجمهور المحلي والأجنبي، وجلب معها موجة من الانفتاح والشفافية لم يسبق لها مثيل، كما ووفرت منصة للتواصل غير المشروط، وأصبحت الأداة الأكثر فعالية في التواصل. وقد أصبح بعضها (تويتر على وجه الخصوص) مقياسا دبلوماسياً، وأداة تستخدم لتحليل العلاقات الدولية وتوقعها. (Lüfkens, 2016)

ومّما يزيد من أهمية الدبلوماسية الإلكترونية هو أن هناك استمرارية في اتجاه صعودي عام في النفاذ إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واستعمالها، كما أن أكثر من نصف سكان العالم موصولون حالياً بالإنترنت. بنهاية عام (2018) وصل عدد مستعملي الإنترنت (51.2%) من الأفراد أي ما يساوي (3.9) مليار نسمة. ويمثل ذلك خطوات هامة نحو مجتمع معلومات عالمي أكثر شمولاً، لكن يجب أن نلاحظ التباين في استخدام الإنترنت بين الدول؛ ففي البلدان المتقدمة، هناك أربعة أفراد من بين كل خمسة أفراد موصولون بالإنترنت، أما في البلدان النامية، تبلغ نسبة الأفراد من مستعملي الإنترنت (45%)، وفي أقل البلدان نمواً، البالغ عددها (47) بلداً في العالم، أربعة أفراد من كل خمسة أفراد (80%) لا يستعملون الإنترنت. (Telecommunication International Union, 2018, p.2).

بالإضافة إلى ما سبق، هناك أحداث وعمليات أدت إلى ظهور الدبلوماسية الإلكترونية والاهتمام المتزايد بها، أهمها: أولاً، التطورات التي حدثت في بعض الدول العربية منذ عام (2010)، التي كانت وسائل التواصل الاجتماعي بمثابة الوقود التي أبرمت النار في الواقع المتلهب أصلاً. ثانياً، استخدام الجماعات الإرهابية للإنترنت لتجنيد الشباب، وبالتالي محاولة مكافحة مثل هذه الأنشطة، ومنع الجماعات الإرهابية من الحصول على الدعم عبر الإنترنت، ثالثاً، سعي الدبلوماسيين التقليديين للتأثير على كيفية تصوير وسائل الإعلام للأحداث. (Manor, 2016)

نقطة أخرى مهمة هي ظهور لاعبون جدد يمارسون هذا النمط من الدبلوماسية، ولا يتوقف الأمر على الدول كوحدات رئيسة في العلاقات الدولية (وهذا ما سنركز عليه في الفقرة الآتية). ونتساءل الآن: ما الهدف وراء الدبلوماسية الإلكترونية؟

تهدف الوحدات الدولية وراء اتباع الدبلوماسية الإلكترونية أهدافاً كثيرة؛ منها ما يتعلق بالجانب الإداري، ومنها ما يتعلق بتطوير السياسات أو بإدارة المعلومات أو بتطبيق الاستراتيجيات المصاغة في إطار الدبلوماسية العامة.

تمكّن الدبلوماسية الإلكترونية الوحدات الدولية من خلال شبكة الإنترنت للاستماع والنشر والمشاركة والتقييم بطرق جديدة وفعّالة، كما تمكنها من توسيع نطاق وصولها والتواصل مباشرة مع المجتمع المدني وكذلك الحكومات والأفراد، والهدف الأساس لذلك هو جذب الجمهور والحديث معه مباشرة ودون حواجز، وتحقيق الأهداف عبر الإنترنت وتحقيق الخبرة في هذا المجال الحيوي والضروري لحل مشاكل السياسة الخارجية. فضلاً عن ذلك، فإن الدبلوماسية الرقمية هي وسيلة اجتماعية متعددة الأبواب، فضلاً عن كونها مصدراً للمعلومات. (عبدالعال، 2018، ص10)

وفي الإطار نفسه، يحدد هانسون ثمانية أهداف للدبلوماسية الإلكترونية: (Hanson, 2012, pp.4-7)

- إدارة المعرفة: لتسخير كل معرفة حكومية واستخدامها الأمثل سعياً وراء تحقيق المصالح الوطنية في الخارج.

- الدبلوماسية العامة: للحفاظ على التواصل مع الجماهير عبر الإنترنت.

- إدارة المعلومات: لتجميع التدفق الساحق للمعلومات واستخدامها لإعلام صنع السياسات بشكل أفضل ولتوقع ظهور الحركات السياسية والاجتماعية والاستجابة لها.

- الاتصالات القنصلية والاستجابة: لإنشاء قنوات اتصالات مباشرة وشخصية مع المواطنين الذين يسافرون إلى الخارج، مع اتصالات يمكن التحكم بها في حالات الأزمات.

- الاستجابة للكوارث: لتسخير قوة التكنولوجيات للاستجابة لحالات الكوارث.

- حرية الإنترنت: إنشاء تقنيات لتبقى الإنترنت حرة ومفتوحة، من أجل تعزيز الديمقراطية وحرية الرأي ولتقويض الأنظمة الاستبدادية.

- الموارد الخارجية: إنشاء آليات رقمية للاستفادة من الخبرات الخارجية وتسخيرها لتحقيق الأهداف الوطنية.

- تخطيط السياسات: للسماح بالإشراف والتنسيق والتخطيط الفعال لسياسة دولية عابرة الحكومات، استجابة لتدويل البيروقراطية.

إذاً، هنالك أهداف عدة وراء استخدام الدبلوماسية الإلكترونية، يرتبط بعضها ببعض، وتتعدد هذه الأهداف وتتنوع نظراً للتطور التكنولوجي الهائل كما تتعدد اللاعبون الدبلوماسيون.

من خلال كل ذلك نستنتج أن الدبلوماسية الإلكترونية تمثل نمطاً عصرياً جديداً لممارسة العمل الدبلوماسي بدأت بسرعة كبيرة ودخلت في حسابات الوحدات الدولية، ونمت ممارستها بشكل كبير بين الوحدات الدولية، وأثرت في الدبلوماسية التقليدية وطبيعة عملها، ولكنها لحد الآن لم تحظ بالاهتمام العلمي والنظري المطلوب.

1-3. لاعبوا الدبلوماسية الإلكترونية

اتسمت الدبلوماسية التقليدية بخاصيتين رئيسيتين، الأولى هي أن الدول القومية كانت الفاعل الرئيس في العلاقات الدولية. والثاني هو أن الوزارات الخارجية للدول تولت حصرياً إدارة الشؤون الخارجية. أما الآن فتغيّر الوضع، فالدول القومية اليوم ليست هي الممثلة الدبلوماسية الحصرية في المشهد الدولي، والوزارات الخارجية ووكالاتها ليست هي الممثل الحصري للحكومة على المستوى الدولي كذلك، بل توزعت الوظائف التقليدية من وزارة الخارجية على وزارات أخرى، حيث تشارك الدوائر الحكومية والوزارات الأخرى في تصريف الشؤون الخارجية. (Saddiki, 2006, p.101) فلم تعد الدبلوماسية حكراً على الدولة، إذ نجد وحدات دولية أخرى بدأت تمارس الدبلوماسية بصورة أو بأخرى، لاسيما الدبلوماسية الإلكترونية.

إن متابعة بسيطة للأعمال الدبلوماسية التي تمارسها الوزارات الأخرى غير وزارة الخارجية اليوم، يبين أن الأدوار المباشرة الآخذة في الازدياد لهذه الوزارات في الدبلوماسية قد حدّت من قدرة وزارة الخارجية على أداء وظيفتها كحارس للبوابة بشكل فعّال، وهذا قد يؤدي إلى تدهور المكانة المحورية لوزارة الخارجية في الدبلوماسية. (بيجان، 2014، ص55). وقد باتت المُؤسَّسات الدبلوماسيّة التقليديّة أمام تحدٍّ، وأُجبرَت على إعادة صناعة نفسها؛ فلا يُمكِن للدبلوماسيّة أن تواجه التحدّيات المعاصرة بالمهارات والآليات القديمة. (عبدالحسين)

وإذا كان الواقعيون أدركوا أن الدول في نهاية المطاف هي التي تتمكن في أن تحدث أي فرق في النظام الدولي، فإن الليبراليون يؤكدون أن الدول أساسية في النظام الدولي، لكن الأفراد الرئيسيين والفواعل من غير الدول لديهم تأثير حاسم في تشكيل سلوك الدولة؛ ولذلك، فإن الليبراليين مهتمون بقدرة الدبلوماسية العامة لبناء العلاقات والتأثير. ويجادل البنيويون بأن الأفراد والفواعل من غير الدول يمكن أن يلعبوا أدوارًا مهمة في تغيير الخطابات الحالية في النظام الدولي من خلال التأثير على إعادة بناء الأفكار السائدة، المعايير، المعتقدات، وبالتالي مصالح الدول. (Ayhan, 2018, p.5)

بالنسبة للواقعيين، يمكن للأفراد والفواعل من غير الدول، في أحسن الأحوال، أن يؤثروا في القضايا السياسية الدنيا، مثل الثقافة والسياسات الاجتماعية، ولا يستطيعون إحداث تغيير في القضايا السياسية العليا، مثل السلام والأمن؛ ولذلك لا يتوقع الواقعيون عوائد كبيرة من الاستثمار في التواصل مع الجماهير الأجنبية. في المقابل يجادل الليبراليون بأن الأفراد والفواعل من غير الدول قد يكونون مهمين مثل الدول أو حتى لديهم المزيد من السلطة في بعض القضايا مثل التمويل العالمي، والبيئة، وحقوق الإنسان. وبناءً عليه، فإنهم يرون أن الاستثمار في الدبلوماسية العامة من خلال الجهات الفاعلة التي تعمل على إشراك الجمهور لزيادة احتمالات نتائج معينة في مجالات قضايا محددة في الساحة الدولية أو العالمية مهمة. ومن جهة أخرى فإن الدبلوماسية العامة والدبلوماسية الإلكترونية تنسجم أكثر مع النظرية البنائية التي تركز على دور الخطاب والهوية في تشكيل المصالح المجتمعية ويحتمل أن تكون مصالح الدولة من خلال إشراك جماهير أجنبية. (Ayhan, 2018, p.5)

عموماً يمكن القول أنه إذا كانت الدبلوماسية التقليدية تقوم أساسا بالاتصال بالحكومات أو الفاعلين الرسميين بالأساس، فإن الدبلوماسية الإلكترونية تزيد عليه، حيث إنها تقوم بالتواصل والتفاعل مع الفاعلين الحقيقيين في المجتمع، بل ومع الفاعلين الخفيين الذين ليس لهم حضوراً رسمياً. (دياب، 2016، ص32-34)

وقد صعدت فواعل من غير الدول، مثل الشركات مُتعدِّدة الجنسيّات، والمُنظمات الدولية غير الحكوميّة، ووسائل الإعلام المُؤثّرة، وأصبحت لها دبلوماسيّتها الخاصّة بها ما أثّر في الدبلوماسيّة التقليديّة بما يُمكِن تسميته بـ"الدبلوماسيّة الناعمة"، كما نظّر له جوزيف ناي عبر المزج بين القوة الصلبة (Hard power) والقوة الناعمة (Soft Power)، وسياسة ثلاثيّة الأبعاد والتي تعني المزج بين الدبلوماسيّة، والدفاع الوطنيّ والتنمية. (عبد الحسين)

تجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من الاختلاف الفعلي للتمثيل الدبلوماسي بين الشركات متعددة الجنسيات والحكومات، إلا أن التمثيل الدبلوماسي لهذه الشركات أمام الدول، لا يختلف كثيراً عن تمثيل الدول أمام بعضها البعض، فبعض هذه الشركات تميل إلى تأسيس مكاتب ضخمة تختص بالعلاقات الحكومية، فمثلاً شركة (إكسون موبيل) لها مكتب سياسي ضخم تابع لها. كما أن الدول لديها مكاتب وهيئات عاملة مخصصة للقيام بمهام التواصل والمهام الدبلوماسية مع الشركات العالمية الكبرى. (بيجان،2014، ص ص105-109)

وبما أن المنظمات غير الحكومية والجهات الفاعلة الأخرى من غير الدول تسعى إلى إبراز رسالتها من أجل تحقيق أهدافها وبآليات جديدة، فإن الدبلوماسية العامة أصبحت الآن جزءاً من نسيج السياسة العالمية. (Hocking, 2005, p.41) ومن أجل تحقيق أهداف هذه الدبلوماسية فمن الضروري اللجوء إلى الدبلوماسية الإلكترونية، ذلك لأن الجمهور العالمي يتوقع، بل يطالب بمعلومات ومعرفة أكثر وأكثر من الفاعلين الدبلوماسيين على حدّ سواء، فكل من القطاعين العام والخاص يتشاركان الموضوعات مثل الممارسة الأفضل أو الممارسة العامة في كل من الأسلوب والمحتوى، من هنا فإن الدبلوماسية العامة يتم تصميمها ونشرها من قبل الحكومات والشركات متعددة الجنسيات بأساليب متشابهة (بيجمان، 2014، ص101) في كثير من الحالات، وكذلك الحال مع منظمات المجتمع المدني الدولية.

إذاً، أصبحت الدبلوماسية تعمل في بيئة الشبكات بدلاً من النموذج الهرمي المرتكز على الدولة في العلاقات الدولية؛ إذ تقوم بها مؤسسات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية، (مثل منظمة (Greenpeace) ومنظمة العفو الدولية)، والشركات المتعددة الجنسيات.. إلى جانب الدولة، وقد تتقارب مصالح الدول مع مصالح المنظمات غير الحكومية في بعض المسائل، في حين كانت هذه الوحدات تنظر إلى بعضها البعض بعين الريبة والمنافس في السابق. مثلاً يعد إنجاز اتفاقية أوتاوا (معاهدة حظر الألغام الأرضية) عام (1997) وإنشاء المحكمة الجنائية الدولية عام (2002)، مثالين بارزين لعدد من مبادرات الحوكمة العالمية حيث تظافرت جهود الدول والمنظمات غير الحكومية مع جهود الأمم المتحدة في حشد الرأي العام الدولي حولها. (Melissen, 2005, p12)

إذاً، بما أن الدبلوماسية الإلكترونية يستخدمها اللاعبون الدبلوماسيون كلهم، فإن تأثيراتها قد تزايدت، لاسيما في ظل الفيض المتزايد من اللاعبين الدبلوماسيين، والذي لايشمل حكومات الدول فحسب، بل يشمل أيضاً حكومات المقاطعات الداخلية، مثل كاتالونيا وكيوبك وإقليم كوردستان العراق، وكذلك الحكومات الموسعة، مثل الاتحاد الأوروبي والمنظمات والمؤسسات متعددة الأطراف، مثل الأمم المتحدة والناتو، ومنظمات المجتمع المدني، مثل اللجنة الدولية للصليب الأحمر ومنظمة السلام الأخضر، والشركات الدولية، مثل تويوتا ومايكروسوفت وغيرهما.. (بيجمان، 2014، ص21)

إن هذا التعدد في أنماط اللاعبين تؤثر في كيفية تمثيل الدول لأنفسها، وكذلك في طريقة تنفيذ الاتصال الدبلوماسي. (بيجمان، 2014، ص22).

بالإضافة إلى ما سبق، يجب أن ننتبه إلى أن العمل الدبلوماسي الذي تمارسه الدول أكثر شمولية وتعقيداً من العمل الدبلوماسي الذي تمارسه اللاعبون الدبلوماسيون الآخرون، وفي كثير الأحيان تمثل الأعمال الدبلوماسية للاعبين دبلوماسيين من غير الدول (مثل الشركات المتعددة الجنسية ومنظمات المجتمع المدني) وسيلةَ ضغطٍ على الدول والمنظمات الدولية الحكومية ولا ترتقي إلى مستوى الأعمال الدبلوماسية التي تقوم بها الدول، لاسيما ما يتعلق بالبعثات الدبلوماسية الدائمة، وكذلك الحال مع الحصانات والإمتيازات الدبلوماسية.. إلخ، لذا فالقانون الدبلوماسي بحاجة إلى إعادة النظر في كثير من قواعدها التي صيغت معظمها في اتفاقية فيننا للعلاقات الدبلوماسية لعام (1961).

هنا يبرز سؤال مهم: هل من السهل اتباع الدبلوماسية الإلكترونية، أم أن هنالك مقتضيات ينبغي أن تراعيها الوحدات الدولية تحقيقها للنجاح في هذا المجال؟

2. مقتضيات الدبلوماسية الإلكترونية

إن ممارسة الدبلوماسية الإلكترونية ليست بالأمر الهيّن كما تبدو للوهلة الأولى، إذ إن لها أدوات ووسائل، أو مستلزمات ومقتضيات تميزها عن غيرها، وإن مدى نجاح هذه الدبلوماسية يتوقف في جانب منها على مدى التعرف على هذه الخصائص والعمل على تحقيق هذه المقتضيات.

2-1. خصائص الدبلوماسية الإلكترونية وأدواتها

بداية لابدّ أن نذكر بأن الدبلوماسية الرقمية خلقت لنفسها قنواتها الجديدة التي هي مختلفة عن القنوات الدبلوماسية التقليدية، وهي دبلوماسية –في بعض جوانبها- قائمة بذاتها لها أسلوبها الخاص الذي يختلف عن الدبلوماسية التقليدية، ومن إيجابيات هذه الدبلوماسية الجديدة أنها شفافة وسريعة وقوة تأثيرها ظاهرة للعيان، وهي ليست حكرًا على الدول وإنما يمكن أن يمارسها أشخاص وجماعات ومنظمات. (عبدالسميع)

من هنا فالدبلوماسية الإلكترونية تتميز بعدة خصائص، أهمها ما يأتي: (عبدالصادق)

- المركزية واللامركزية: من خلال تنقية الأجهزة البيروقراطية وتقليل التكلفة وازدياد قنوات اتصالية جديدة وسهلة داخل المؤسسة بما يزيد من الكفاءة والفعالية.

- التفتّت والاندماج: عن طريق سهولة إنشاء روابط إلكترونية بين المجتمعات المختلفة مما سهّل الاندماج ومكّن من القدرة على التعبير عن الهوية الذاتية.

- الشفافية: ظهرت حالة من الانكشاف العالمي وظهرت التكتلات والتحالفات وراء قضايا عالمية، مما شكّل لصانعي القرار قضايا تتعلق بكيفية التعامل مع المعلومات والضغوط.

- التعبئة والرشادة: عبر توافر المعلومات في صنع واتخاذ القرارات و الموازنة بين التعبئة وبين الرشادة في اتخاذ القرارات.

- السرعة: باختصار أو بالأحرى تجاوز الزمان والمكان وانحسار قيود الجغرافيا بما انعكس في تسريع الخطى لاحتواء الصراعات والأزمات.

- الافتراضية: أي المحاكاة عبر الكمبيوتر للواقع الفعلي، فالدبلوماسية الافتراضية هي دبلوماسية حقيقية، تنجز عبر وسائل تكنولوجية، وظهر ما يسمى بـ(الدبلوماسية الضخمة-Mega-diplomacy)، والتي هي عبارة عن شبكة من التفاعلات السريعة بين فاعلين رسميين وغير رسميين.

وبالانتقال إلى أدوات الدبلوماسية الإلكترونية، نجد أن هناك عدة طرق لاستخدام أدوات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتعزيز السياسة الخارجية أو المصالح الدبلوماسية، أهمها: (Senya, 2016, pp.31-35)

أ. مواقع الويب: يوجد لدى عدد من وزارات الخارجية والبعثات الدبلوماسية مواقع إلكترونية تعرض عليها مجموعة واسعة من المعلومات ذات الصلة بالجمهور المستهدف.

ب. إنترانيت أو الشبكات الداخلية (Intranets): تُعرَّف بأنها شبكة اتصالات محلية أو مقيّدة، أي شبكة خاصة تم إنشاؤها باستخدام برمجيات الشبكة العنكبوتية العالمية.

ج. الويكي (Wikis): هو موقع أو قاعدة بيانات تم تطويرها بشكل تعاوني من قبل مجتمع من المستخدمين، يسمح لأي مستخدم بإضافة المحتوى وتعديله. مثلاً تدير الوزارة الخارجية الأمريكية ويكيًا داخليًا يعرف باسم (Diplopedia)، وهي موسوعة على الإنترنت يستخدمها موظفو الإدارة لتبادل المعرفة حول القسم وقضايا أخرى في الشؤون الدولية.

د. المدونات (Blogs): المدونة هي موقع ويب أو صفحة ويب محدثة بانتظام، يتم تشغيلها بواسطة فرد أو مجموعة صغيرة مكتوبة بأسلوب غير رسمي أو تحادثي. الفرق بين المدونة والويكي هو أن محتويات المدونة ليست مفتوحة للتعديلات من قبل المستخدمين. يمكن للمستخدمين التعليق فقط على المحتوى ولكن يتم ترك تحرير المحتوى لمالك أو مالكي المدونة.

هـ. الإعلام الاجتماعي ووسائل التواصل الاجتماعي: وسائل الإعلام الاجتماعية هي مجموعة متنوعة من تطبيقات وتكنولوجيات المنصات القائمة على الويب التي تمكن الناس من التفاعل الاجتماعي مع بعضهم البعض عبر الإنترنت. مثل: (Facebook)، (Twitter)، (WhatsApp) و(Instgram).. ويمكن استخدامها كأدوات قوية لدفع أفكار أو سياسات أو أفكار معينة أو التحريض على بعض الإجراءات العامة. هذه الميزات تجعلها مفيدة بشكل خاص للدبلوماسية خاصة في مجال الدبلوماسية العامة. بحسب ماركس، في عام (2014) ، كان لدى الوزارة الخارجية الأمريكية حوالي (800،000) متابع على تويتر و(480،000) متابع على الفيسبوك.

و. التعلم عبر الإنترنت للدبلوماسيين: أي التعلم عن بعد الذي يتم في الغالب باستخدام أدوات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. مؤسسة ديبلو هي مؤسسة مكرسة لتحسين مهارات الدبلوماسيين الأمريكيين من خلال التدريب والتعليم المنتظم حول القضايا الشائعة في الشؤون الدولية.

ز. السفارات الافتراضية: وهي السفارات التي لا تتواجد بالمعنى المادي ولكنها موجودة في الفضاءات المستندة إلى الإنترنت. هذه السفارات عبر الإنترنت بمثابة شكل من أشكال التمثيل الدبلوماسي للبلدان التي ترغب في إقامة وجود دبلوماسي في الأماكن التي لا يوجد فيها السفارة ماديا (وهذا ما سنركز عليه لاحقاً).

ر. تطبيقات العقوبات "SanctionsApp": هو تطبيق برمجي متخصص يقدم معلومات عن العقوبات التي يستهدفها مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وهذه الجزاءات هي التدابير المبينة في المادة (41) من ميثاق الأمم المتحدة، الذي يستخدمه مجلس الأمن، ضد الدول التي تقوم بأعمال تهدد غيرها. يقصد من التطبيق أن يكون قاعدة موارد للدبلوماسيين وأي شخص يرغب في الحصول على مزيد من المعلومات حول جزاءات الأمم المتحدة الموجهة. يتوفر تطبيق "SanctionsApp" على أجهزة (iPhone) و(Android) و(Blackberry).

وهناك أدوات أخرى من المحتمل استخدامها لممارسة الدبلوماسية الإلكترونية، وهذه الأدوات تزداد يومياً مع تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والتطبيقات الإلكترونية المتزايدة في هذا المجال.

من هنا نستطيع القول بأن الوحدات الدولية أصبحت لديها الآن وسائل تقنية متطورة تمكّنها من ممارسة الدبلوماسية الإلكترونية، سواء في مجال الصراع أو التعاون، وإن أية وحدة دولية تتوانى عن الاستخدام الفعّال لهذه الأدوات ستتخلّف عن ركب الدبلوماسية الجديدة التي لا تخاطب المؤسسات الرسمية فحسب، بل تمارس تأثيراً كبيراً على المستوى الشعبي والجماهيري.

2-2. مستلزمات الدبلوماسية الإلكترونية

إن ممارسة الدبلوماسية الإلكترونية ليست بالأمر اليسير كما أسلفنا، بل إنها تتطلب مستويات راقية وشروط متوفرة على مستوى الأشخاص والموارد والإدارات والمعلومات..

أولا، على مستوى الدبلوماسيين: تتطلب الدبلوماسية الإلكترونية تغيير الميزات الأساسية المطلوبة من الدبلوماسيين. فإذا كانت الدول ترغب في تغطية جميع الجوانب السيبرانية ذات الصلة، فهي بحاجة إلى فريق جيد من الدبلوماسيين السيبرانيين. أي إن الدبلوماسي في العصر الإلكتروني ينبغي أن يكون لديه معرفة بالقضايا الإلكترونية والمخاطر التي يحملها عالم الإلكترونيات. كما يجب أن يصبح الدبلوماسيون أكثر مشاركة وفاعلية في استخدام شبكة الويب العالمية كمنصة للاتصال مع الدول ومع الشعوب معاً حيث تغيرت الآن طريقة التواصل مع الآخرين. ومن جهة أخرى، يجب أن يكون لدى جميع الدبلوماسيين فهم أساسي لقواعد الحرب والنزاع في شاكلتها الجديدة، إذ يعتبر الآن الفضاء الإلكتروني المجال الخامس للحرب إلى جانب الأرض، البحر، الجو والفضاء. فالمخاوف الأمنية الدولية في الفضاء الإلكتروني تجسدت بالفعل في العلاقات الدولية. (Tiirmaa-Klaar, 2013, p.510-511)

ثانياً، على المستوى الإداري والتكنولوجي والمعرفي: يتطلب تفعيل الدبلوماسة الإلكترونية العمل على تحقيق عدة اعتبارات، أهمها: (عبد الصادق)

- دمج التكنولوجيا ونشاطات الإدارة؛

- تمويل برامج تطوير التكنولوجيا في المناصب الدبلوماسية كافة؛

- تأسيس مركز التكنولوجيا والتعاون مع السفارات في الخارج؛

- العمل على اعتماد تمويل خاص للابتكار التكنولوجي واستخدام البرامج الإلكترونية الإدارية؛

- توسيع التشارك في المعلومات والمعارف؛

- العمل على إقامة نظام موسع لإدارة العلاقات؛

- تحسين قدرات البحث والاسترداد للمواد الرقمية وتوسيع استخدامها للمؤتمرات المنقولة عبر الأقمار الصناعية؛

- تبني أدوات اتصال جديدة مثل منتديات النقاش الحي الإلكترونية وخدمات الفيديو عبر الإنترنت، والتي تغير طريقة التفاعل بين الناس في أرجاء العالم.

ثالثاً، على مستوى الحملات العملية: هناك أربع خطوات لتطوير خارطة طريق وسائل الاعلام الاجتماعية قبل إطلاق أي حملة للدبلوماسية الإلكترونية. (Wihlborg & Norstedt,2017, p.2443)

- مراقبة وسائل الإعلام الاجتماعية والاستماع إلى المحادثات التي تتم عبر الإنترنت؛

- فتح الحسابات على منصات مختلفة ثم البدء بنشر قيمة المحتوى؛

- تحفيز التفاعل مع المتابعين وبينهم والمشاركة بنشاط في المحادثات؛

وإشراك المواطنين في عمليات صنع القرار من خلال وسائل التواصل الاجتماعي.

ولتقييم فعالية الجهود الدبلوماسية الرقمية يطرح البعض أسئلة مهمة، تتعلق بنوعية المعلومات التي يتم استخدامها للتأثير في الجمهور، وبمدى إمكانية وصول هذاا التأثير وبتوليد المحادثة، ومن خلال أي آلية مُورِسَ التأثير. Wihlborg & (Norstedt,2017, p.2443

من خلال إدراك الوحدات الدولية، ولاسيما الدول، أهمية الإجابة الإيجابية على هذه الأسئلة المتعلقة بمدى دور وتأثير الدبلوماسية الرقمية، اهتمت وبمستويات متفاوتة بهذا النمط من الدبلوماسية.

2-3. اهتمام الدول بالدبلوماسية الإلكترونية

إن الدول والوحدات الدولية الأخرى، إن أرادت أن تواكب التطورات التكنولوجية الهائلة، لا سيما في مجال الاتصال والتواصل، وإن أرادت أن تكون ذي تأثير في المحيط الخارجي الرسمي والشعبي معاً، فهي بحاجة ماسّة إلى أن لا تكتفي بممارسة الدبلوماسية بوسائلة التقليدية فحسب، بل ينبغي أن تستخدم الدبلوماسية الإلكترونية في مجالات عديدة، لتحقيق أهدافها المنشودة وللتصدي للتحديات التي تواجهها. ذلك لإن الدبلوماسية الإلكترونية حوارية وتعاونية وشاملة، ولذلك أصبحت الوحدات الدولية مضطرة للتكيف معها واستخدام وسائل الإعلام الجديدة. (Hoffmann, 2013, p.14)

من هنا حاولت الوحدات الدولية أن تستفيد من الدبلوماسية الإلكترونية في صراعها مع الوحدات الدولية الأخرى، فمثلاً فتحت الولايات المتحدة الأمريكية (مكتب شؤون الشرق الأدنى وبرنامج إيران)، ولدى مكتب إيران اثنان من المدونين المتفرغين يعملون باللغة الفارسية ويديرون مواقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك، يوتيوب، وتويتر) تعمل من أجل دعم الموقف الأمريكية وتقويض النظام الايراني والوصول إلى المواطنين الإيرانيين وتحسين صورتها لديهم. وفي تطور آخر أطلقت أول سفارة رقمية خالصة للدولة: سفارة طهران الافتراضية (Virtual Embassy Tehran)، فهو بمثابة محور لجميع مواد وزارة الخارجية باللغة الفارسية. وتمّ تخصيص مبلغ عشرة ملايين دولار أمريكي للكونجرس كان يجب إنفاقه على حرية الإنترنت في إيران. (Hanson, 2012, p.25)

وفتحت الولايات المتحدة الأمريكية في مكتب الدبلوماسية الإلكترونية فريق تكنولوجيا الدبلوماسية (Diplo Tech Team) الذي هو مسؤول عن بعض مبادرات الدبلوماسية الإلكترونية التي يركز عليها المكتب بشكل أكبر، ويسعى للتعاون بشكل نشط مع الشركاء والمجموعات الخارجية وتسخير خبراتهم لتعزيز أهداف حكومة الولايات المتحدة. بالإضافة إلى ذلك، (TechCamp) هي مبادرة تجمع بين المجتمع المدني والتقنيين (خبراء تكنولوجيا المعلومات). (Hanson, 2012, p.21)

وأصبح تواصل (باراك أوباما) عبر وسائل التواصل الاجتماعي أكثر خصوصية من خلال حسابه على (@POTUS Twitter) وصفحة (Facebook)، كما أصبح أول "رئيس عصر الإعلام الاجتماعي" غادر البيت الأبيض في يناير (2017) مع حوالي (137) مليون معجب ومتابعين ومشتركين. وكان (باراك أوباما) أول قائد عالمي أنشأ حسابًا على (Twitter) في (5 مارس 2007) كمستخدم رقم (813،286) عندما كان لا يزال عضوًا في مجلس الشيوخ عن ولاية إيلينوي. (Lüfkens, 2018)

وقد تجاوز بعض قادة الدول (Twitter) و(Facebook)، وأصبحوا نشطين أيضًا في قنوات جديدة مثل (Snapchat) للوصول إلى الجمهور، ووصل الأمر إلى استخدام عدد من قادة الدول الرموز التعبيرية لإضفاء اللمعة على تغريداتهم، مما يخلق ما يمكن وصفه بلغة إشارة دبلوماسية جديدة. (Lüfkens, 2016)

ومما لا شك فيه أن (دونالد ترامب) قد أحدث التأثير الأكبر على تويتر منذ توليه منصبه في 20 يناير (2017)، فهو أكثر زعيم عالمي تبعه أكثر من (52) مليون حتى مايو (2018)، وارتفع هذا العدد بسرعة ووصل إلى (59) مليون متابع حتى (2019/06/16) حسب متابعة الباحث. وقد حصل على أكبر تفاعلات على مدار عام (2018)، إذ قام بتغيير نبرة الخطاب على تويتر، وكثيرًا ما شتم خصومه وقادة الدول الأخرى، ويهدد بالضربات الجوية وتمارس الحرب عبر التغريدات. ويستخدم حسابه الشخصي على (Twitter)، كقناته المفضلة للاتصالات التنفيذية وبيانات السياسة العالمية، بدلاً من الحساب الرسمي الذي تم إنشاؤه في عهد (باراك أوباما). (Lüfkens, 2018)

وقد بلغ نسبة الحضور الرسمي للدول الأعضاء في الأمم المتحدة البالغ عددها (193) دولة في العام (2018) على (Twitter)، (97%) من جميع هذه الدول، مع جمهور مشترك يبلغ (485) مليونًا. ويُعد (Facebook) ثاني أكثر الشبكات شعبية بين قادة الحكومات وهو المكان الذي يضم أكبر جماهيره. يتواجد رؤساء الحكومات ووزراء خارجية (179) دولة في المنصة، يمثلون (93%) من جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة. وأصبح (Instagram) ثالث أكثر الشبكات الاجتماعية شعبية بالنسبة للحكومات، و (81%) من جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة قد أنشأت حساباً فيها. وانخفض موقع (YouTube) إلى المرتبة الرابعة و تستخدمه (80٪) من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة كمستودع للفيديو. وفي المتوسط، تعدّ صفحات (Facebook) أكثر شيوعًا من حسابات (Twitter)، بمعدل يبلغ (37103) إعجابًا لكل صفحة، مقارنةً بـ(18.135) متابعًا لكل حساب (Twitter). (Lüfkens, 2018)

(Twitter) هو قناة الاتصال الرئيسية للدبلوماسية الإلكترونية، فقد استخدمتها (131) وزارة خارجية و(107) وزراء خارجية، في العام (2018). وإن أكثر من (4600) سفارة و(1400) سفير ناشطون على تويتر. فالحكومات التي لا تخصص موارد

كافية لقنواتها الدبلوماسية في وسائل الإعلام الاجتماعية، تتخلف عن ركب الدبلوماسية الألكترونية العالمية. (Lüfkens, 2018)

ولعله يمكن تصور حجم الانخراط الدبلوماسي الرسمي في المجال الإلكتروني بالنظر إلى الإحصائيات المعدة في هذا المجال، ونورد في هذا المجال نماذج في الجداول الآتية.

الجدول رقم (1)
تسلسل قادة العالم الأكثر متابعة في (Twitter) للفترة مابين (آيار 2017-آيار 2018)

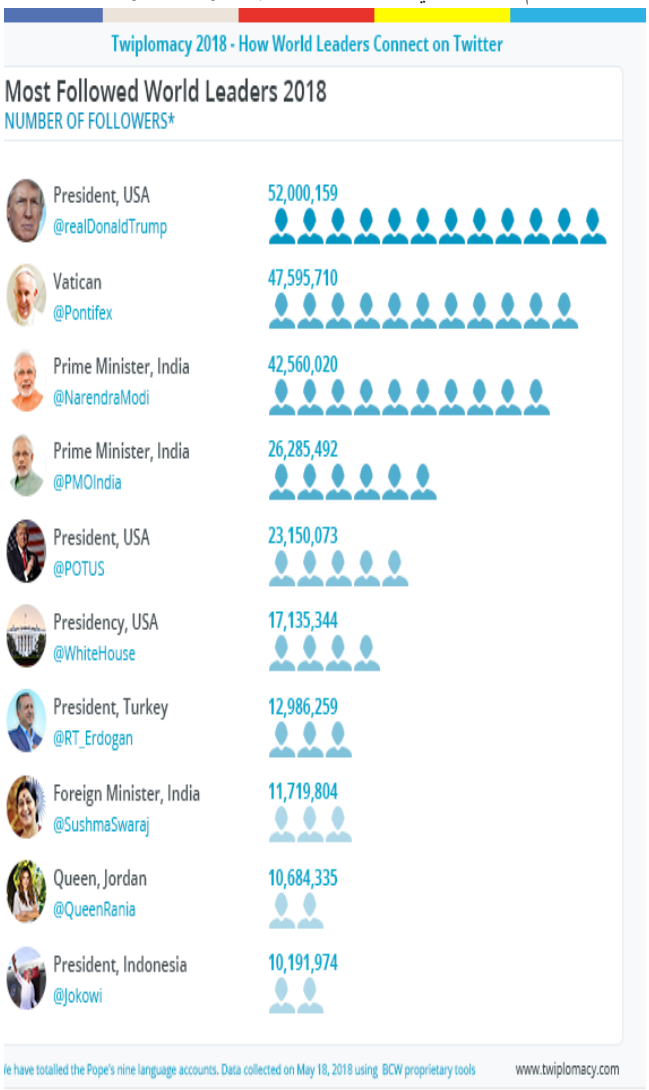

Source: Lüfkens, 2018.

يلاحظ أنه تم تكرار حسابين لرئيس الوزراء الهندي وكذلك للرئيس الأمريكي في الجدول، الأول منها عبارة عن الحساب الشخصي والثاني حساب مؤسسي.

ويتيح (Twitter) للمواطنين الوصول المباشر إلى قادتهم. لكن هل يجيب القادة على أسئلة المشاركين؟ فهذه مسألة أخرى، أكيد أن هناك قلة مختارة تقوم بالرد على بعضهم. وأن التبادل العام للتويتر بين القادة أمر نادر الحدوث، ولكن عندما يحدث، فإنه غالباً ما يتصدر عناوين الصحف. (Lüfkens, 2018)

الجدول (2)
تسلسل قادة العالم الأكثر تأثيراً في (Twitter) بالاعتماد على (مجموع الإعجابات والإجابات) للفترة مابين (آيار 2017-آيار 2018)

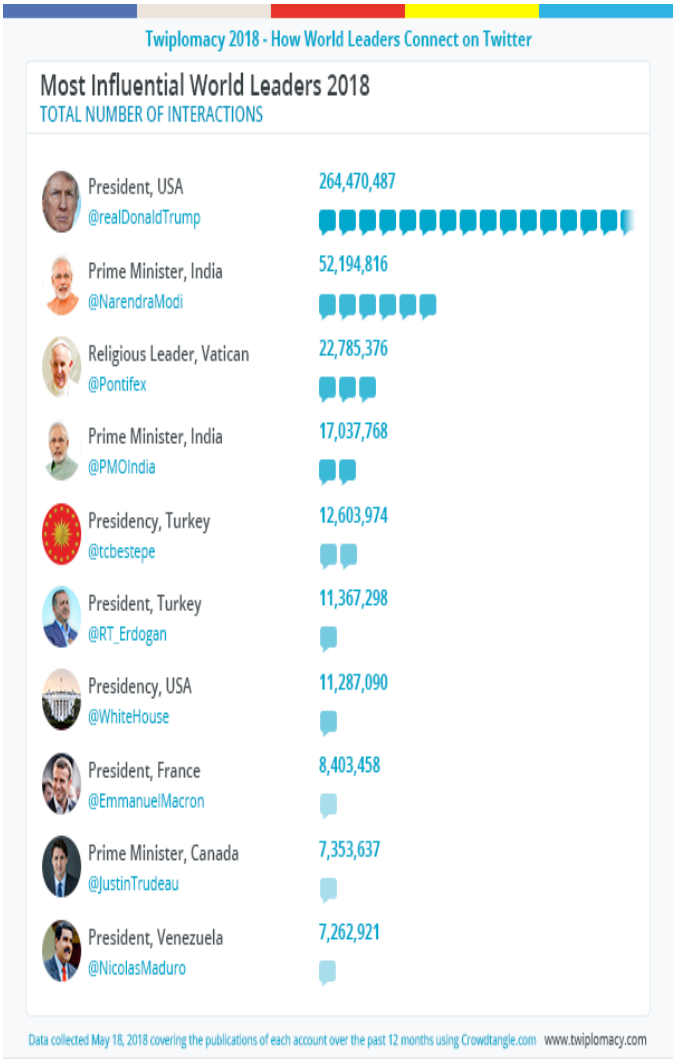

Source: Lüfkens, 2018.

وأصبحت (Instagram) شبكة الإعلام الاجتماعي الأسرع نمواً بين قادة العالم والحكومات ووزراء الخارجية. إن رؤساء الدول والحكومات في (120) دولة لديهم وجود شخصي فيها، يمثلون ما يقرب من ثلثي جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة. (Burson-Marsteller, 2018) ويضح الجدول رقم (3) ذلك.

الجدول رقم (3)
تسلسل قادة العالم الأكثر متابعة في (Instagram) للفترة مابين (أكتوبر 2017-أكتوبر 2018)

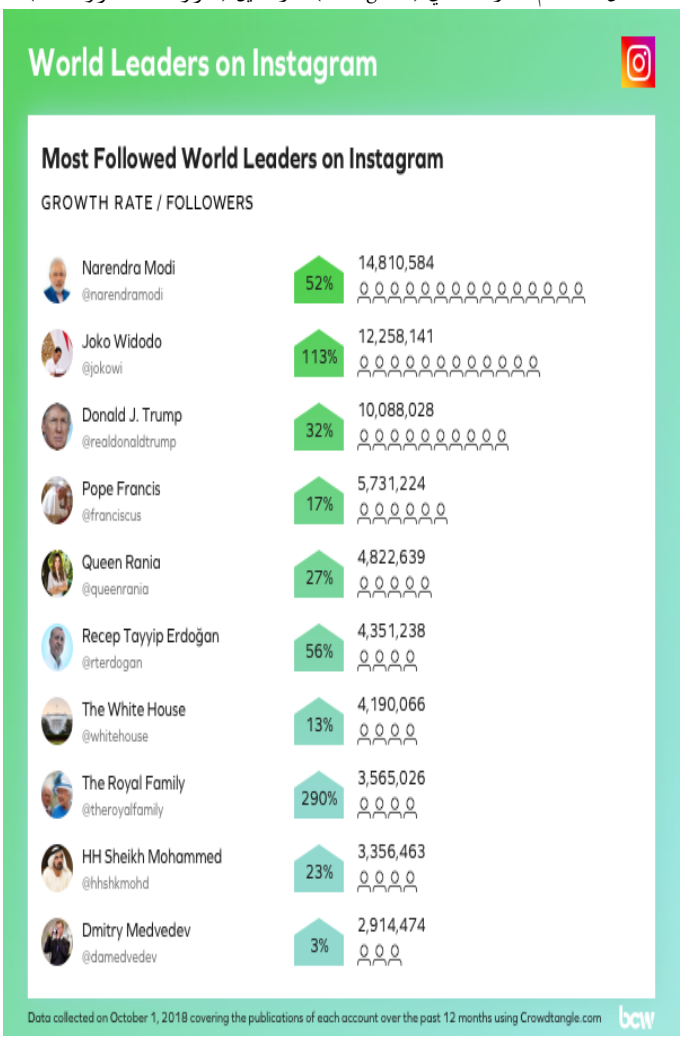

Sourse: Burson-Marsteller, 2018.

ولم تتوقف الدول عند حد (Twitter) و(Facebook) و(Instagram) و(YouTube)، بل ذهب بعضها إلى أكثر من ذلك، للوصول إلى الجمهور المستهدف، وذلك باستخدام منصات ناشئة مثل (Snapchat) و(WhatsApp) و(Telegram) و(LinkedIn) و(Google+) و(Periscope) و(Vine)، فأصبح كل هذه الأدوات منصات للديبلوماسية الإلكترونية. (Lüfkens, 2016)

وقد مارس بعض الدبلوماسيين أو الوزارات الخارجية ما تسمى بدبلوماسية الهاشتاغ (Hashtag Diplomacy)؛ فمثلاً: نشرت السيدة الأمريكية الأولى (ميشيل أوباما) في (2014)، صورة حملت علامة مع هاشتاج "أعيدوا بناتنا"، مشيرًا إلى اختطاف حوالي (250) فتاة في المدرسة النيجيرية من قبل جماعة بوكو حرام، بهدف إثارة اهتمام وسائل الإعلام بهذا الاختطاف والإشارة إلى أن إطلاق سراح الفتيات من أولويات السياسة الخارجية الأمريكية. (Manor, 2016)

وكل ذلك يدلّ على إدراك الدول لأهمية الدبلوماسية الإلكترونية ومحاولتها لتوفير المستلزمات اللازمة لتحقيق أهدافها وراء تبنّي هذه الدبلوماسية.

وفي تطور آخر، وصل الأمر إلى تعين بعض الدول سفيراً لدى الشركات الكبرى للتكنولوجيا والتواصل الاجتماعي؛ وفي هذا الإطار عيّنت الدنمارك (كاسبر كلينغ) في سبتمبر (2017) كسفير في وادي السيليكون (كاليفورنيا، الولايات المتحدة) الذي يحتضن كبريات شركات التكنولوجيا والتواصل الاجتماعي في العالم على غرار (آبل) و(إنتل)، وأشار هذا السّفير التكنولوجي إلى أن بعض الشركات التكنولوجية لها تأثير كبير على كل الدول، كما شدّد على الحاجة إلى ما سمّاه (تيكبلوماسي)، أي دمج التكنولوجيا بالدبلوماسية. فالدول التي لا تستطيع الدفاع عن مصالحها في المجال الرقمي ولا حتى حماية نفسها من تبعات الحرب الإلكترونية هي بمثابة دول ضعيفة. (عبدالسميع)

نستنتج مما سبق أن الدبلوماسيين بكل مستوياتهم، من رؤساء الدول إلى الوزراء وإلى المسؤولين رفيعي المستوى وإلى الدبلوماسيين الدائمين والمؤقتين، كلهم اهتموا بالدبلوماسية الإلكترونية والانخراط في هذا المجال الحيوي. كما أن الدول حاولت عَبر مؤسساتها الدبلوماسية الرسمية وضع استراتيجيات للتعامل مع هذا النمط الجديد من الدبلوماسية، سواء في التعامل الرسمي مع الوحدات الدولية الأخرى، أو في الخطاب الموجه إلى الجمهور الخارجي، أو حتى الداخلي، أي وسّعت هذه الدبلوماسية إطار الدبلوماسية العامة، ومن جهة ثالثة طرأ على المهام والاهتمامات الدبلوماسية نوع جديد من الأجندة تتعلّق بالأمن الإكتروني والتطور الكبير الذي تشهده تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وهذا الجانب المهم جمع الدول مع فواعل جديدة في هذا المجال، لاسيما كبريات الشركات ومؤسسات المجتمع المدني. كما تمارس هذه الدبلوماسي من قبل مؤسسات فوق الدول، مثلاً الأمم المتحدة، كما تمارس من قبل مستوى ما دون الدول، مثلاً الأ قاليم والمقاطعات، وذلك في إطار البارادبلوماسية أو البروتودبلوماسية.

3. تداعيات استخدام الدبلوماسية الإلكترونية في العلاقات الدولية

إن الدبلوماسية الإلكترونية محفوفة بمزيج غير مسبوق ومعقد من الفرص والتحديات، وهذا انعكاس طبيعي للخصائص التي تتمتع بها والمخاطر التي تواجه مجالها الحرج وغير الحصين في عصرنا الرقمي الراهن.

فالدبلوماسية الإلكترونية تؤدي إلى عواقب مختلفة؛ فمن جهة تمكن الحكومات، والناس، وتساعد في تعزز حماية حقوق الإنسان وغيرها من الحريات الأساسية، كما تشجع المساءلة العامة، وتساعد الدول في تحقيق مصالحها بشكل أسهل... ولكن من جهة أخرى، بما أن الإنسان بطبيعته حيوان سياسي أناني، والدول في صراع مستمر، فإن من الوارد استمرار التهديدات الخطيرة على البشر والوحدات الدولية. (Danda, 2014, p.26)

من هنا نلقي الضوء على الدور الإيجابي للدبلوماسية الإلكترونية، بالإضافة إلى مخاطرها.

3-1. الدور الإيجابي للدبلوماسية الإلكترونية

هناك نواح إيجابية عدة لاستخدام الدبلوماسية الإلكترونية؛ منها ما يتعلق بالوظيفة الدبلوماسية، ومنها ما يتعلق بالفرص التي تخلقها الدبلوماسية الإلكترونية للمشاركة في صياغة السياسات الخارجية وتنفيذها، ولتغيير نمط العلاقات القائمة في بعض جوانبها على المستوى الدولي.

هناك رأي يقول: يجب أن تحل الدبلوماسية محل الدفاع في العلاقات الدولية من خلال إعادة تخيل الدبلوماسية واستخدام الأدوات والفرص الإبداعية. ففي ظل الدّبلوماسية الإلكترونية أصبح الاتصال السياسي الدولي مهم الآن أكثر من أيّ وقت مضى، فيمكن الوصول إلى الجماهير الأجنبية والمشاركة في حل المشكلات القائمة، إذ أصبحت الدبلوماسية أكثر ذكاءً وأسرع وأخف وزناً وأكثر شبكية. وهذا دفع البعض إلى المطالبة بإعادة التفكير في "النظام البيئي الدبلوماسي"، بما في ذلك وزارة الخارجية ونموذج العمل الدبلوماسي، وإعادة البناء في هذا المجال، وإعادة تقييم الوضع الدبلوماسي الراهن. (Stein, 2011, p.259)

من جهة أخرى، مع أن الدبلوماسية السرية قابلة للتطبيق في عصر المعلومات، لكن منذ بداية القرن الواحد والعشرين زادت سرعة الاتصالات من التحدي في الحفاظ على السرية الدبلوماسية؛ إذ تأثيرات الإنترنت والأقمار الصناعية وموقع التواصل الاجتماعي والقنوات الفضائية تنقل الأخبار والأحداث بصورة فورية إلى الجمهور على مستوى العالم، وبذلك أصبح العالم الآن أكثر شفافية من أي وقت سابق؛ من هنا فالتكنولوجيا الجديدة غيّرت وتيرة الدبلوماسية الدولية ونمطها. (Momengoh, 2013, ppp.233-234)

تمثل الدبلوماسية الجماهيرية وسيلة إستراتيجية للنهوض بالمصالح الوطنية الملموسة في الشؤون الدولية، وذلك من خلال زيادة الحوار مع الجماهير الأجنبية وخلق سياق دولي موات. فثمة اعتقاد منتشر بين قادة اليوم يتمثل في أن هذه السياسة الناعمة ضرورية للنجاح في تمهيد الطريق لمجموعة واسعة من الأهداف الصعبة، ذلك لأن الدبلوماسية العامة لها قيمة كعنصر استراتيجي للسلطة في عصر المعلومات. ولذلك يدرك الفاعلون الدوليون بشكل متزايد أن الدبلوماسية الجماهيرية تمكنها من تحسين مكانتها في المجتمع الدولي وتهد لتحقيق أهدافها. فالدبلوماسية الجماهيرية تخدم مصالح استراتيجية واقتصادية وسياسية عصرية (Pahlavi, 2003, pp.8-12)، وذلك تمكّن الدبلوماسية الرقمية من التغلب على قيود الدبلوماسية التقليدية والانخراط المستمر والمتفاعل مع جمهور كبير ومتنوع. (Manor, 2016)

ولذلك، تهدف الدبلوماسية الإلكترونية لزيادة الإدراك المتبادل وتوضيح السياسات الخارجية أو مواقف واتجاهات الوحدات الدولية وتفسيرها، والدفاع عنها وحمايتها من التشويه. والقيمة الحقيقية المضافة للدبلوماسية الإلكترونية هي ما تتيحه من تغذية استرجاعية، إذ إن المنصات الإلكترونية تمكن الدبلوماسيين من التعرف إلى مشكلات ورؤى الشعوب وتفهّمها، من خلال مشاركة الأفكار والتفاعل مع المستخدمين من خلال مناقشة القضايا المختلفة. وهذا يمكّن الدبلوماسيين من تقويم أدائهم بشكل فعّال وسريع. (دياب، 2016، ص32-34)

ولذلك على الرغم من اقتناع الأمريكيين بأن الولايات المتحدة الأمريكية ستحقق أهدافا فورية ميدانية في الحرب التي تخوضها، ولا سيما في الشرق الأوسط، لكن المختصين في مجال السياسة الخارجية اقتنعوا بأن النصر في ميدان الحرب ليس كافياً ولا ينهي التهديدات، لأن ذلك سيخلق أجيالاً جديدة من الناقمين في رقع جغرافية واسعة. وإن أفضل وسيلة لدفع الكراهية هي اللجوء إلى فتح منافذ جديدة وابتكار وسائل فعّالة لتحسين صورة الولايات المتحدة الأمريكية والترويج لقيمها وتعزيز ضغوط كبيرة لإحداث تغييرات جذرية على منظومة التعليم والتفكير الديني والأسس الفكرية التي تؤسس -في نظرهم- لمشاعر الصدام والكراهية تجاههم. (الفراوي، 2016)

من هنا، يتمثل أحد آثار النظام الإلكتروني في العلاقات الدبلوماسية في الارتفاع التدريجي في أهمية القوة الناعمة؛ فالقوة الناعمة هي القدرة على تحقيق النتائج المطلوبة في الشؤون الدولية من خلال الإقناع بدلا من الإكراه. أدركت الوحدات الدولية أن الاعتماد على الدبلوماسية التقليدية سيكون أقل فعالية في مجال القوة الناعمة. مع ذلك، هذا لا يعني أن القوة الصلبة أو السياسة الواقعية قد عفا عليها الزمن؛ فالدبلوماسية لا تزال بحاجة قوة. (Martin, 2001, pp.15-17) ولكن الآن أدركت الدول أهمية القوة الناعمة، لذلك عمدت الدول إلى استخدام الدبلوماسية الناعمة، ووظفت الدبلوماسية الدينية لتحسين صورتها في الخارج، فمثلاً استخدمت الصين الدبلوماسية الدينية من أجل تحسين صورة الصين وقبول سياسة الصين الدينية وتقديم صورة إيجابية للعالم، ومن أجل تقليل سوء الفهم في المجتمع الدولي، بل ومن أجل اكتساب فهم إيجابي. (Zhang, 2011,pp.51-61)

وهناك دراسات تؤكد على إمكانية توليد رأس المال الاجتماعي من خلال استخدام وسائل الإعلام الاجتماعية في الدبلوماسية الرقمية، لكن هناك حاجة إلى الثقة والالتزام بالمعاملة بالمثل لتوليد رأسمال اجتماعي، وذلك من خلال القوة التي تعتمد على تأثير الأفكار والقواعد والقيم. (Deos, p.299)، حتى المتاحف الآن تستخدم وسائل الإعلام الاجتماعية في مساعيها الدبلوماسية الدولية. وذلك من خلال رصد القضايا والاهتمامات التي تنشأ من المجتمعات الأجنبية، من أجل ربط الجماهير الأجنبية بالثقافة المحلية عن طريق محتوى المتاحف من خلال أنشطة المشاركة المباشرة. وهذا جزء مهم وحيوي من الدبلوماسية الثقافية، حيث إن هذه الدبلوماسية عبارة عن تبادل الأفكار والمعلومات والفن والجوانب الأخرى للثقافة من خلال الاتصال المباشر والدائم بين شعوب الدول المختلفة. (Grincheva, 2013, p.44)

من جانب آخر، ستتمكن الدبلوماسية الإلكترونية، في المستقبل، من جعل الكثير من الأصوات مسموعة على صعيد جدول الأعمال الدولي، وبالتالي توسيع وجود هذه الأصوات وتوليد محادثات حول قضايا عدم المساواة والظلم الاجتماعي. (Wihlborg & Norstedt, 2017, p.2446)

من جهة أخرى، يتسع أجندة الدبلوماسية الإلكترونية لتشمل مسائل عدة، من أهمها ما يتعلق بحقوق الإنسان، الأمن الدولي، إدارة الإنترنت، الجريمة السيبرانية وبناء القدرات، والتي يجب أن تكون ضمن أولويات الدبلوماسيين. كما أن هناك الكثير من المجالات الأخرى التي يجب على الدبلوماسيين الاهتمام بها، مثل التجارة في منتجات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ونقل التكنولوجيا، واللوائح الإلكترونية الوطنية، والدفاع السيبراني والعديد من القضايا الأخرى. سيكون من المستحيل أن تكون خبيرا في جميع هذه المجالات في نفس الوقت. لذلك، يفضل التعاون بين السياسة الخارجية مع واضعي السياسات الوطنية والقطاع الخاص والأوساط الأكاديمية. هناك بعض التحديات التي سيجتمع بها الدبلوماسيون في جهودهم المستقبلية لتوجيه العلاقات الدولية الدولية. (Tiirmaa-Klaar, 2013, p.529)

هنا نستنتج أن الدبلوماسية الإلكترونية لها دور كبير في صياغة رؤية جيدة لدى صناع القرار في الوحدات الدولية، وتشارك في إيجاد مناخ جديد في البيئة الدبلوماسية تطغى عليه ملامح القوة الناعمة ويشارك في صياغته الجماهير العريضة على مستوى العالم، وهي بذلك تعبر الحدود المحلية، ومادامت الوسائل التكنولوجية تعمل ليل نهار ودون توقف، فإن دبلوماسية الإلكترونية دبلوماسية حية وحيوية ولا تنام، بل تعمل

على مدار الساعة، وتساعد الدول في صياغة رؤى جديدة نابعة من الأسفل، كما تمكن الوحدات الدولية الأخرى أن تعمل على تحقيق أهدافها.

2-3 مخاطر الدبلوماسية الإلكترونية

فرض التطور التكنولوجي الهائل في مجال الاتصالات والمعلومات تحدياً جديداً أمام الدول والوحدات الدولية للتحرك باتجاه مواكبة العصر في سباق استخدام وسائل تقنية مبتكرة في مجال علاقاتها الدولية وسياساتها الخارجية ودبلوماسيتها. ولكن قبل أن نتطرق إلى أهم المخاطر التي تواجهها الدبلوماسية الإلكترونية، لابدّ أن نشير إلى أنه لا يمكن اعتبار الدبلوماسية الإلكترونية كأسطورة سوبرمان، باعتبار أنها يمكن أن تمنح نفوذ وصلاحيات استثنائية لمستخدميها، وذلك لاعتبارات، أهمها: (Bjola, 2018-A)

- لا يمكن للدبلوماسية الإلكترونية أن تمنح للوحدات الدولية قوة السوبرمان، يفعل ما يشاء بالدبلوماسية الإلكترونية.

- إن اعتماد الأدوات الرقمية دون وجود استراتيجية شاملة لكيفية استخدامها لدعم بعض أهداف السياسة الخارجية ينطوي على خطر أن تصبح الدبلوماسية الإلكترونية منفصلة عن السياسة الخارجية.

- هناك مفهوم خاطئ يرى أن التكنولوجيا الرقمية قادرة على إحداث تغيير جوهري في كيفية أداء الدبلوماسيين لمهامهم التقليدية في التمثيل والتواصل والتفاوض لدرجة أنهم قد يضعون "نهاية للدبلوماسية". فعلى الرغم من تأثيرات الدبلوماسية الرقمية الكبيرة، فإن الوظيفة الأساسية للدبلوماسية هي بناء العلاقات ولا يمكن تحقيق الإدارة دون وجود تواصل إنساني وثيق ومستمر.

- الإمكانات الإيجابية للمنصات الرقمية للمشاركة والتعاون معرّضة لخطر الاختطاف، أي الجانب المظلم من التكنولوجيا وإعادة توجيهها لاستخدام الدعاية.

إن من أبرز سلبيات الدبلوماسية الإلكترونية هو غياب قانون دولي ينظمها، وأخطار القرصنة والحرب الإلكترونية، فالهجمات الإلكترونية باتت أخطر من أي هجوم عسكري، كما أن التجسس الإلكتروني يعد أخطر أنواع التجسس على مرّ التاريخ. (عبدالسميع)، وقد وفرّت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للمتطرفين السياسيين الأدوات اللازمة لبناء شبكات عالمية إرهابية وممارسة أشكال جديدة مخيفة للحرب. (Bollier,2013, p.39) بالإضافة إلى تسرّب المعلومات، والقرصنة، وعدم الكشف عن هوية مستخدمي الإنترنت، والمثال البارز على تسرّب المعلومات هو ويكيليكس. ((Adesina, 2016, p.183

ففي ظل العولمة، تغيّر نطاق العلاقات العالمية، بما في ذلك ظهور القضايا الأمنية بأشكالها كافة بصورة مفاجئة، فنحن نعيش زمن المخاطر الأمنية التي يمكن أن توصف بإنها متعددة الأشكال والأوجه؛ كالعنف السياسي، وانتشار الجرائم والأمراض، وانتهاكات حقوق الإنسان. (سيراكوسا، 2015، ص114) والإرهاب بشتى أشكاله، ومنها الإرهاب الإلكتروني. ففي عام (2010) ألقى المحققون الإسبان القبض على ثلاثة أشخاص أصابوا أكثر من (13) مليون حماز كمبيوتر حول العالم. (Danda, 2014, p.30)

وقد بلغت الجرائم الإلكترونية إلى حد لا يُتصور، ففي عام (2013) بلغت ضحايا هذه الجرائم إلى أكثر من (٥٥٦) مليون ضحية سنوياً، أو (1.5) مليون ضحية يومياً أو ما يقرب من (١٨) ضحية في الثانية، وتم اختراق (600000) حساب (Facebook) يوميًا، فلا المواطنون ولا الحكومات آمنة، لذلك يتعين على الحكومات أن تكون أكثر حذراً من أي وقت مضى، ذلك لإن الجريمة السيبرانية لا يمكن حصرها من حيث الزمان والمكان. وقد باتت الجريمة السيبرانية أحد الأسباب التي قللت من الثقة بين الدول (Danda, 2014). لذلك بات من واجب صناع السياسة في جميع أنحاء العالم وضع استراتيجيات للحد من الجرائم الإلكترونية، لأنه مكلف للغاية على الصعيد العالمي. وقد جعلت الجرائم الإلكترونية الدول تصرف مليارات الدولارات مع الشركات الكبيرة، مثل مايكروسوفت، مع برامج مكافحة الفيروسات لحماية أنظمة الكمبيوتر، لكن هذا لا يكفي، بل ينبغي دراسة العقل الإجرامي، وذلك للإجابة على سؤال رئيس: ماذا وراء السلوك الإجرامي؟(Danda, 2014, p.45)

ومع تزايد قوة الهجمات الإلكترونية التي تسبب في عواقب مدمرة عبر الحدود، تواجه الدبلوماسية الجديدة تحديات جديدة، فمن الصعب تحديد مكان الهجوم، والقائم به، وإذا ما كانت وحدة دولية معينة قامت به أو شاركت فيه أو سمحت به، فاليقين في هذا المجال صعب، فمثلاً تسهل التكنولوجيا للجهات الفاعلة الأخرى أن تقوم بفضح الأسرار ونشر الأكاذيب على نطاق واسع، لا سيما في وقت الانتخابات.

نعيش الآن في زمن "تبدو فيه الأسلحة الإلكترونية أكثر فائدة لبث الاضطراب بدلا من التدمير المادي، فهي أقرب إلى كونها سلاحا مساعدا من كونها وسيلة لإحراز الانتصار.. وأصبحت فيه الإلكترونيات أسرع وأرخص وأكثر أمناً، ويمكن إنكار المسؤولية عنها بصورة أكبر من الجواسيس الذين يتنقلون بحقائب تحتوي على أموال وأسرار". (Nye, 2018)

إذاً، فتح هذا المسار الجديد من العمل للدبلوماسيين طريقاً جديداً يتسم بالسرعة في العلاقات والمفاجأة في التحديات، والتي تتطلب معرفة شاملة حول تطورات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، أمن الكمبيوتر والشبكات، إدارة الإنترنت، الأمن الدولي، جريمة الإنترنت، الذكاء السيبراني، وما إلى ذلك. ولم يتم حتى الآن التفكير في معظم هذه الموضوعات في الأكاديميات الدبلوماسية أو مدارس الشؤون الدولية (Tiirmaa-Klaar, 2013, p.509) بالمستوى المطلوب.

إن من أهم الجوانب السلبية للدبلوماسية الإلكترونية هو عدم وجود قانون دولي يؤطرها، وغياب تقاليد يمكن البناء عليها لتأسيس علاقات دبلوماسية إلكترونية متوازنة. (أنوزلا) قد تلعب مؤسسات القانون الدولي دوراً في العلاقات الدولية، ولكنها لا تكون فعالة إلا إذا كانت مدعومة بنظام فعال للعقوبات. ومع ذلك يبدو من الصعب وضع معايير قانونية ثابتة للدبلوماسية الإلكترونية لأن عالم السياسة السيبرانية في تدفق ثابت. ولذلك فإن تزايد تعقيد الدبلوماسية السيبرانية نتيجة لحوسبة الشبكات الاتصال، وتصغير التكنولوجيا والعولمة جعل الدول، المنظمات والأفراد أكثر عرضة للجرائم السيبرانية (Danda, 2014, p.13)، ولذلك، يجب أن تتغير القانون الدبلوماسي باستمرار لتتناسب مع التكنولوجيا الجديدة؛ فالجرائم السيبرانية تتطور بسرعة كبيرة، لذا فالدبلوماسية الإلكترونية أيضا ينبغي أن تواكب هذه التطورات.

يتم استخدام أدوات الإنترنت بشكل متزايد لتسهيل الجريمة التقليدية. ومع زيادة عائدات الجريمة السيبرانية العالمية، أصبحت الجهات الإجرامية أكثر تنظيماً، والخسارة الاقتصادية ذات الصلة تشكل خطرا جسيماً على الحكومات في المدى الطويل. تحتاج الحكومات إلى قدرات وطنية جادة لمكافحة الجريمة السيبرانية، مما يشكل تهديدًا للأمن الداخلي والوطني والاقتصادي لجميع الدول. ولا تكفي أي من الآليات الوطنية للدول فرادى في حالة وجود مستويات عالية من الأزمة السيبرانية أو في مكافحة الجريمة السيبرانية الدولية المنظمة. التصدي العالمي للجريمة السيبرانية يدلّ على أنها تمثل تحدياً وصل إلى مستوى ينذر بالخطر، ويجب معالجتها على مستوى أوسع. ولتعزيز معاهدة الجرائم السيبرانية لمجلس أوروبا ينبغي أن تُدمج مع الجهود الدبلوماسية المبذولة لضمان وجود إطار قانوني كاف للتصدي للجريمة السيبرانية. (Tiirmaa-Klaar, 2013, pp.514-515)

وقد تدفع الجرائم السيبرانية الدول والوحدات الدولية بشكل عام أو تجبرها على إنشاء تكتل لمواجهة التهديدات السيبرانية بطريقة أكثر شمولاً، أي إلى مزيد من التعاون الدبلوماسي الإلكتروني، وهناك دعوات لإنشاء بروتوكول دبلوماسي دولي موحّد عبر الإنترنت على شاكلة الإنتربول (الشرطة الدولية) التي تحارب الجريمة الدولية بصورة جماعية، كما يمكن إنشاء شبكات دولية لمكافحة الجرائم السيبرانية. (Danda, 2014, p.36)

وبعد ازدياد المخاوف الأمنية الدولية في الفضاء الإلكتروني، أجبرت الوحدات الدولية لمحاولة وضع قواعد ومعايير في الفضاء السيبراني. وقامت ببعض المبادرات المفيدة جداً لتساهم في تحقيق هذا الهدف، منها فريق الأمم المتحدة للخبراء الحكوميين، أو عملية المؤتمر العالمي للفضاء السيبراني في لندن عام (2011). وهناك أيضا عملية جارية في منظمة الأمن والتعاون في أوروبا (OSCE) لإنشاء اتفاق بشأن الأمن السيبراني لوضع تدابير بناء الثقة. وفي المجال الأكاديمي كانت هناك طروحات قيمة بشأن انطباق القانون الإنساني الدولي في الحرب السيبرانية. (Tiirmaa-Klaar, 2013, p.511)

ومع أن الاتصالات التقليدية في ظل الدبلوماسية الإلكترونية قد تم استبدالها بفرص كبيرة للتفاعل مع الجماهير المحلية والأجنبية في الاتجاهين معاً، لكن وفّرت وسائل التواصل الاجتماعي أدوات جديدة للدعاية، وإن وفرة المعلومات تؤدي إلى ندرة الاهتمام. (Wihlborg & Norstedt, 2017, p.2442)

ومن ضمن الجوانب السلبية الأخرى لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي (التويتر مثلاً) في إطار الدبلوماسية الإلكترونية؛ يوجد نقطتي ضعف لاستخدامها: أولها هو الخطر المستمر في الانخراط في الاتصالات الضعيفة وفارغة المحتوى التي لا تكاد تلبي أهداف الدبلوماسية العامة. التحدي الثاني الكبير الذي يكمن في استخدام هذه الوسائل كأداة دبلوماسية يؤدي إلى ما تسمى بالفجوة الرقمية؛ فالإنترنت نفسه ينطوي على خطر استبعاد كبار السن، فضلاً عن أولئك الذين لديهم خبرة فنية قليلة، ومجموعات مستهدفة أخرى. وعليه، يمكن الوصول إلى مجموعة أصغر من الأشخاص، لأنه يتطلب المزيد من الجهد للتعرّف على الذات. (Hoffmann, 2013, pp.93-95)

وفي هذا الإطار، يكمن أحد أكبر التحديات في الدبلوماسية الرقمية في طبيعتها التحادثية (conversational nature) بتواجدهم على الإنترنت، اضطر الدبلوماسيون والمؤسسات الدبلوماسية إلى أن تتعامل مع الجمهور العام على الانترنت. وقد أصبحت الهجمات اللفظية وخطاب الكراهية ضد الدبلوماسيين جزءا لا يتجزأ من الدبلوماسية الرقمية. وقد أثارت أنشطة معينة على الإنترنت في هذا المجال جدلاً كبيراً. فمثلاً الصورة التي نشرتها السيدة الأمريكية الأولى (ميشيل أوباما) في (2014)، حملت علامة مع هاشتاج "أعيدوا بناتنا"، مشيرًا إلى اختطاف حوالي (250) فتاة في المدرسة النيجيرية من قبل جماعة بوكو حرام، بهدف إثارة اهتمام وسائل الإعلام بهذا الاختطاف والإشارة إلى أن إطلاق سراح الفتيات من أولويات السياسة الخارجية الأمريكية. لكن ما تلا ذلك كانت حملة وسائل الإعلام الاجتماعية من قبل مستخدمي تويتر الذين يشجبون السيدة الأولى. فسرعان ما قاموا بتحميل صورهم الذاتية التي تحوي الهاشتاج "أعيدوا إليك الطائرات بدون طيار"، في إشارة إلى صلة إدارة أوباما بضربات الطائرات بدون طيار ضد المشتبه بهم. (Manor, 2016)

ومن التحديات التي تواجه الدبلوماسية الإلكترونية هي حاجة الوزارات الخارجية إلى أن تحافظ على إمبراطورياتها الدبلوماسية على الإنترنت، ومن أجل جذب مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي تحتاج الهيئات الخارجية إلى نشر مواد جذابة في وسائل التواصل الاجتماعي، وأن تكون على تواصل دائم مع الجمهور، فضلاً عن تتبع الصحفيين والصحافة على الإنترنت، من أجل التنبؤ بالأحداث في الدول الأجنبية، وكذلك متابعة مؤسسات دبلوماسية أخرى، وكل هذه تتطلب موارد كبيرة في ظل تزايد الحسابات الإلكترونية التابعة لوزارات الخارجية للدول وفي كل تطبيقات التي هي بدورها أيضا في تزايد كبير. (Manor, 2016)

إذاً، يعدّ التكيف مع البيئة الجديدة وتكامل التكنولوجيات الجديدة في الدبلوماسية هو أحد أكبر التحديات التي واجهتها وزارات الخارجية.

وإن التحدي الذي تواجهه الدبلوماسية القنصلية هو التحدي الأكثر إلحاحاً، حيث يطالب المواطنون بتوفير الخدمات الحكومية بسرعة تلبيةً للمعايير التكنولوجية. (Hocking & Melissen, 2015, p.6)

وفيما يتعلق بتصميم آليات دولية للعلاقات بين الدول فيما يتعلق بقضايا الفضاء الإلكتروني، فإن المهمة الأولى للدبلوماسيين ستكون لتقليل احتمالية سوء الفهم وسوء التوزيع وعدم الثقة في العلاقات السيبرانية، وخلق قنوات الاتصال وجذب مختلف الأطراف إلى طاولة المفاوضات. (Tiirmaa-Klaar, 2013, p.514)

التطورات الإلكترونية الحالية تفتح مجالاً آخر غير مكتشف من قبل الدبلوماسيين، أي حوكمة الإنترنت. هذا المجال المعقد من المبادرات والمنتديات ينتمي بشكل رئيسي إلى التكنولوجيين. يجب أن يزيد اهتمام مجتمع السياسة الخارجية في هذا المجال. وفي ظل تزايد الاختلافات حول الحكم يجب على الدبلوماسيين لعب دور مركزي في تسوية هذا النزاع في المنتديات الدولية. كما يجب على الدبلوماسيين أيضا أن يأخذوا علما بالاتجاهات المستقبلية للتطورات الإلكترونية. (Tiirmaa-Klaar, 2013, p.516)

دخلنا مرحلة من الزمن قد تكون البنية التحتية هدفاً محتملاً للدمار الناجم عن السيبرانية، وتستخدم أدوات سايبر متطورة للتجسس الصناعي من قبل بعض الحكومات، مما يؤدي إلى خسارة الملكية الفكرية للشركات. لذلك، تقع على عاتق الدبلوماسيين تحديد كيفية تنظيم المجال الإلكتروني والقواعد المتعلقة بكيفية تصرف الدول الفاعلة. (Tiirmaa-Klaar, 2013, p.518)

ويمكن اعتبار ورشة عمل الأمن السيبراني في (17 مارس 2009) في فيينا حدثاً فاصلاً في الدبلوماسية السيبرانية المعاصرة. فقد كانت الورشة عبّرت عن بدايات مبكرة للدبلوماسية السيبرانية حيث شارك رؤساء وكالات الإنترنت الوطنية في ورشة عمل منظمة الأمن والتعاون في أوروبا، منذ ذلك الحين، بدأ أجندة الدبلوماسية السيبرانية الدولية بالتطور. (Tiirmaa-Klaar, 2013, p.519)

لسوء الحظ، نظرًا للعدد الهائل من الجهات الفاعلة والاستخدام المزدوج لتقنية المعلومات والاتصالات، من المستحيل تقريباً تطوير اتفاقية عالمية على الإنترنت.

إذاً، يكمن مستقبل الدبلوماسية الإلكترونية في قدرة الوحدات الدولية على استغلال الفرص التي ولّدتها وستولّدها الثورة التكنولوجية، وحماية نفسها من المخاطر المحتملة التي قد تخلقها. (Bjola, 2018-B, p.33)

ففي عامي (2016) و(2017)، أدى التدخل الإلكتروني غير المشروع في الانتخابات الديمقراطية والاستفتاءات في أوروبا والولايات المتحدة إلى تحويل موضوع "التسلح" للدبلوماسية الإلكترونية إلى عناوين الأخبار. فضلاً عن نشر "الأخبار المزيفة" والتسلل الخفي في وسائل الإعلام الاجتماعية والمحادثات، بالإضافة إلى الخوف من قيام شركات التكنولوجيا العملاقة التي تتخذ من الولايات المتحدة مقراً لها، بعلاقات تجارية ذات أهمية أخلاقية فيما يتعلق بالبيانات الشخصية التي يتم جمعها من مواقع الشبكات الاجتماعية. (de Keulenaar & Melissen, 2018, p.34)

نستنتج من كل ما سبق، إن للممارسة الدبلوماسية الإلكترونية تداعيات عدة ومتنوعة؛ فمن ناحية تعطي فرص عديدة للدول والوحدات الدولية الأخرى للقيام بمهمات صعبة في إطار سياستها الخارجية ودبلوماسيتها العامة، كما تفتح مجالات أخرى مهمة للتواصل المتفاعل مع الفاعلين الآخرين ومع الجماهير المحلية والأجنبية وفي إطار تنفيذ الدبلوماسية العامة، ولكن من جانب آخر، تعرّض الوحدات الدولية إلى مخاطر كبيرة وغير مسبوقة، سواء ما يتعلق منها بالجانب الأمني أو بطبيعة تكنولوجيا المعلومات أو بالشفافية وكيفية التعامل مع المعلومات أو بكيفية التعامل المباشر مع الجماهير وكيفية إدارة الدبلوماسية وصنع القرار. في كل الأحوال أصبحت الوحدات الدولية مضطرة للتعامل مع هذا النمط الجديد من الدبلوماسية، سواء فيما يتعلق بالاستعدادات اللازمة والمقتضيات العصرية المتعلقة بالآليات المستخدمة فيها، وكيفية إدارة هذه الدبلوماسية، أو فيما يتعلّق بالحذر والاستعداد للمخاطر والتحديات التي تواجهها من هذا الباب، فهي مخاطر غير تقليدية وتحتاج إلى وسائل استباقية وغير تقليدية لمواجهتها.

الاستنتاجات

من خلال هذا البحث توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات، أبرزها ما يأتي:

- تعدّ الدبلوماسية الإلكترونية ممارسة ابتكارية جديدة للدبلوماسية ظهرت وانتشرت بسرعة كبيرة، وتعتمد عليها الدول والوحدات الدولية الأخرى في مجالات عدة، وهي في جانب منها تمارس كجزء من الدبلوماسية العامة، لكنها أوسع من ذلك، وهي تفاعلية ومباشرة وحيوية. إضافة إلى ذلك، إنها تمثل حقلاً جديداً من حيث التنظير والممارسة في المجال الدبلوماسي وتضمن أدوات جديدة لتنشيط العمل الدبلوماسي وتوسيع إطاره.

- إن للدبلوماسية الإلكترونية خصائص تميّزها عن غيرها من أنواع الدبلوماسية، إذ إن لها أدوات ومستلزمات غير تقليدية، وهذه المستلزمات هي في تطور دائم ومستمر، وأصبحت الوحدات الدولية مضطرة للاستعداد لها والعمل بمقتضياتها، وبالتالي فالدبلوماسية الإلكترونية بمثابة موجة حتمية آتية لابدّ أن تمارسها الوحدات الدولية.

- مع أن لممارسة الدبلوماسية الإلكترونية دوراً إيجابياً في تليين العلاقات وتمكين الوحدات الدولية لصياغة وتنفيذ جزء مهم من سياستها الخارجية بالطرق السلمية، إلا أنها لاتخلو من المشاكل والتحديات والمخاطر؛ فبما أن الطريقة التي تمارس بها الدبلوماسية قد أصابها التغيير، وأصبح التكيف مع الأجندات الجديدة ضرورة ملحة على الدول والوحدات الدولية الأخرى.

- ظهرت بوادر إعادة تنظيم المجال الدبلوماسي حسب المعطيات والمتغيرات الجديدة بما يتوافق والتطور الهائل في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. فالعالم يعيش في ظل الدبلوماسية الإلكترونية مرحلة جديدة تعاد فيها صياغة ملامح الدبلوماسية وبيئتها؛ فالدول لم تعد محتكرة للعلاقات الدبلوماسية، ولم تعد العلاقات الدبلوماسية امتيازًا حصريًا لها، بل برزت دور الفواعل من غير الدول وتنامى هذا الدور في المجال الدبلوماسي.

- هناك تحديات كبيرة لاستخدام الدبلوماسية الإلكترونية لابدّ للدول أن تعمل لمواجهتها وتتعاون مع الشركات والوحدات الدولية الأخرى لمواجهتها، فهي تحديات قد تتجاوز القوة الدفاعية لدولة بمفردها مهما كانت قدراتها.

- يمكن استخدام الدبلوماسية الإلكترونية في إطار الصراع والتعاون، في إطار الحرب والسلم، لكنها تدفع باتجاه ازدياد أهمية القوة الناعمة، رغم أنها تؤدي بشكل عام إلى التلاعب بالمعلومات وتؤدي إلى الإغفال عن الحقائق وتشويش الصورة الحقيقية، أو تؤدي إلى ندرة الاهتمام.

خلاصه القول إن أية وحدة دولية تريد أن تكون دبلوماسيتها نشطة وبالمستوى المطلوب، فعليها اعتماد الدبلوماسية الإلكترونية، كما ينبغي أن تدمج الدبلوماسية العامة الإلكترونية في عملية صنع السياسة الخارجية وتنفيذها. وإن المستقبل محمّل بالعديد من التغيرات التي ستطرأ على العلاقات الدبلوماسية، لاسيما في ظل عالم رقمي ستتغير فيه المفاهيم والأساليب التقليدية إلى أخرى جديدة أكثر فعّالية وتكيفًا مع منطق الثورة الإلكترونية.

قائمة المصادر والمراجع

- ملاحظة: تم التأكد من توفر المصادر المأخوذة من الإنترنت في هذا البحث بتأريخ (2019/01/25)، ولذلك لا نكرر كتابة تأريخ استرجاع هذه المصادر من الإنترنت.

أولا/ العربية والمعرّبة:

اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام (1961).

أنوزلا. علي. الدبلوماسية الرقمية، مقال نشره موقع الجزيرة على الرابط التالي: https://blogs.aljazeera.net/blogs/2017/3/8/الدبلوماسية-الرقمية

بيجمان. جيفري. (2014). الدبلوماسية المعاصرة، ترجمة: د. محمد صفوت حسن، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر. القاهرة.

دياب. وليد خلف الله محمد. (10 مايو، 2016). أثر الدبلوماسية الرقمية في تحسين صورة الدول، مجلة علاقات، بيروت-لبنان، 10. 31-37.

الرويتع. خالد بن إبراهيم. (2013)، الدبلوماسية العامة الرقمية والسياسة الخارجية، الشرق الأوسط. العدد (12785)، متوفر على الرابط التالي: https://aawsat.com/home/article/11373

سيراكوسا. جوزيف إم. (2015). الدبلوماسية: مقدمة قصيرة جداً. ترجمة: كوثر محمود محمد. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر. القاهرة.

عبد الحسين. ياسر. دبلوماسيّة الموجة الرابعة، مقال منشور في موقع "الأخبار" على الرابط التالي: https://al-akhbar.com/Opinion/9111

عبدالسميع. قاسمي. ماذا تعرف عن الدبلوماسية الرقمية؟، مقال منشور على الإنترنت على الرابط التالي: http://www.noonpost.com/content/21516

الفراوي. نزار. (2016). الثقافة والقوة الناعمة: حروب الأفكار في السياسة الخارجية، مركز برق للأبحاث ودراسة السياسات، دراسة منشورة متوفرة على الرابط التالي:https://bit.ly/2se4A2j

عبد الصادق. عادل. الدبلوماسية الإلكترونية والمدخل الجديد لإدارة السياسة الخارجية، دوريات - مفاهيم استراتيجية، مقال منشور في موقع المركز العربي لأبحاث الفضاء الإلكتروني، على الرابط التالي: http://accronline.com/article_detail.aspx?id=28976

عبد العال. وائل (إعداد). (2018). الدبلوماسية الرقمية ومكانتها في السياسة الخارجية الفلسطينية، سلسلة أبحاث وسياسات الإعلام-مركز تطوير الإعلام-جامعة بيرزيت، فلسطين.

العجرمي. محمود عبد ربه. (2011) الدبلوماسية: النظرية والممارسة. على الرابط التالي: http://cutt.us/Awf8P

ثانياً/ الكوردية:

بةرزنجي. دانا عةلي سالَح. (2017). دةروازةيةك بؤ ثةيوةندية دبلؤماسي و كؤنسولَيية هاوضةرخةكان. سةنتةري زةهاوي بؤ ليكؤلَينةوةي فيكريي. سليَماني. هةريَمي كوردستان. عيَراق.

ثالثاً/ الإنجليزية:

Adesina. Olubukola S. (2016). Foreign Policy in an Era of Digital Diplomacy. AJPSSI. University of Ibadan. Nigeria. Vol 19. No3.169-189.On: https://www.researchgate.net/publication/310796852_Foreign_policy_in_an_era_of_digital_diplomacy

Ayhan. Kadir Jun. (2018). The Boundaries of Public Diplomacy and Non-State Actors: A Taxonomy of Perspectives. International Studies Perspectives. International Studies Perspectives· 1-33 on: https://www.researchgate.net/publication/326056416_Who_are_publics_in_public_diplomacy_Proposing_a_taxonomy_of_foreign_publics_as_an_intersection_between_symbolic_environment_and_behavioral_experiences

Berridge. G. R. & James. Alan. (2003). A Dictionary of Diplomacy. PALGRAVE MACMILLAN. New York.

Bjola. Corneliu. (2018-A). Digital Diplomacy Myths. Published on USC Center on Public Diplomacy. on: https://www.uscpublicdiplomacy.org/blog/digital-diplomacy-myths

Bjola. Corneliu. (2018-B. November 11). Trends and Counter-Trends in Digital Diplomacy. in: Volker Stanzel (Ed.). New Realities in Foreign Affairs: Diplomacy in the 21st Century. SWP Research Paper. Stiftung Wissenschaft und Politik: German Institute for International and Security Affairs. Berlin-Germany.on:https://swpberlin.org/fileadmin/contents/products/research_papers/2018RP11_sze.pdf

Bollier. David. (2003). The Rise of Netpolitic: How the Internet Is Changing International Politics and Diplomacy A Report of the Eleventh Annual Aspen Institute Roundtable on Information Technology. The Aspen Institute. Washington. DC.

Bosse. Bernadette. (2015). Electronic vs. Digital data. On: https://www.linkedin.com/pulse/electronic-vs-digital-data-bernadette-bosse

Burson-Marsteller. (2018. December 4). World Leaders on Instagram. Geneva. On: https://twiplomacy.com/blog/world-leaders-instagram-2018/

Danda. Steven James. (2014). An Evaluation of Cyber Diplomacy Against The Threat of Cyber Crime: The Cace Of The US PRISM Programme Leak. Master Thesis. Department of Political And Administrative Studies. Faculity of Social Studies Univercity of Zimbabwe.

de Keulenaar. Emillie V. & Melissen. Jan. (2018. November 11). Critical Digital Diplomacy and How Theory Can Inform Practice. in: : Volker Stanzel (Ed.). New Realities in Foreign Affairs: Diplomacy in the 21st Century. SWP Research Paper. Stiftung Wissenschaft und Politik: German Institute for International and Security Affairs. Berlin-Germany. on: https://www.swp-berlin.org/fileadmin/contents/products/research_papers/2018RP11_sze.pdf

Deos. Anthony S. Digital Diplomacy & Social Capital: Analysing Relational Components of Trust in US & Israeli Online Social Networks. University of Otago. Otago. On: https://ourarchive.otago.ac.nz/bitstream/handle/10523/5800/DeosAnthonyS2015PhD.pdf?sequence=1

Diplo Foundation. (2015). "What is e-diplomacy anyway?" on: http://www.diplomacy.edu/blog/what-e-diplomacy-anyway.

Dizard. Wilson. (2001, Summer). Digital Diplomacy US foreign policy in the information , International Journal. (56). 3. 552.on: https://www.jstor.org/stable/pdf/40203598.pdf?refreqid=excelsior%3A547ebe6e9fcf45bdd137d625121ef80b

Grincheva. Natalia. (2013. March). Cultural Diplomacy 2.0: Challenges and Opportunities in Museum International Practices. museum and society. University of Leicester. Vol 11. No 1. 39-49 on: https://journals.le.ac.uk/ojs1/index.php/mas/article/view/221/234

Hanson. Fergus. (2012. March) Revolution @State: The Spread of Ediplomacy. Lowy Institute for International Policy. Sydney. On: https://www.brookings.edu/wp-content/uploads/2016/06/03_ediplomacy_hanson.pdf

Hocking. Brian. & Melissen. Jan. (2015). Diplomacy in the Digital Age. Clingendael Report. Netherlands Institute of International Relations Clingendael. The Netherlands.

Hocking. Brian. (2005). Rethinking the 'New' Public Diplomacy. In: Jan Melissen (Editor). The New Public Diplomacy: Soft Power in International Relations. PALGRAVE MACMILLAN. New York.

Hoffmann. Helen. (2013). Twitter as an Instrument of Public Diplomacy: A Case Study of Sweden and Germany. Master of Arts Thesis Euroculture. University of Göttingen. University of Uppsala. June 30. on: http://www.diva-portal.org/smash/get/diva2:653015/FULLTEXT01.pdf

https://blogs.aljazeera.net/blogs/2017/3/8/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%A8%D9%84%D9%88%D9%85%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%82%D9%85%D9%8A%D8%A9

Senya. Delali Anne Peace. (2016). The Benefits and Challenges Of Electronic Diplomacy (E-Diplomacy) To Developing Countries: The Cace of Ghana. Master Thesis. The University of Ghana. Legon. On: http://dapalan.com/16Kz

Sharp. Paul. (1999). For Diplomacy: Representation and the Study of International Relations. International Studies Review. Vol. 1. No. 1. on: http://www.jstor.org/stable/3186365

Sharp. Paul. (2009) Diplomatic Theory of International Relations. Cambridge University Press. New York.

Stein. Janice Gross. (2011. Winter 12). Diplomacy in The Digital Age. Essays in Honour of Ambassador. International Journal. Vol. 67. No. 1. 255-260

Tiirmaa-Klaar. Heli. (2013) Cyber Diplomacy: Agenda. Challenges and Mission. in: Katharina Ziolkowski (ed.). Peacetime Regime for State Activities in Cyberspace. International Law. International Relations and Diplomacy. (pp.509-531). NATO CCD COE Publication. Tallinn- Estonia.

Wihlborg. Elin. & Norstedt. Anna. (2017). New ways and actors when diplomacy goes digital: The e-Diplomacy Campaign "Midwives4All. Part of: Proceedings of the 50th Hawaii International Conference on System Sciences. (pp.2438-2447). University of Hawaii. on: http://liu.diva-portal.org/smash/get/diva2:1134243/FULLTEXT01.pdf

Zhang. Juyan. (2011). China's Faith Diplomacy: Initiatives and Vulnerabilities. in: Essays on Faith Diplomacy. Naomi Leight (Ed.). (pp.47-66) Figueroa Press. Los Angeles.

Ilan Manor & Elad Segev & Ronit Kampf. Digital Diplomacy 2.0? A cross-national comparison of public engagement in Facebook and Twitter. the Hague Journal of Diplomacy. Volume 10. Issue 4. 2015. on: https://www.researchgate.net/publication/283259027

Ilan Manor. The Digitalization of Diplomacy: Toward Clarification of a Fractured Terminology. DigDiploROx Working Paper No. 2. Oxford Digital Diplomacy Research Group. University of Oxford (Jan 2018). p.3. Available from: http://www.qeh.ox.ac.uk/sites/www.odid.ox.ac.uk/files/DigDiploROxWP2.pdf

Ilan Manor. What is Digital Diplomacy. and how is it Practiced around the World? A brief introduction. The 2016 Annual Review of the Diplomatist Magazine http://www.diplomatist.com/dipoannual2016/index.html?pageNumber=36

International Telecommunication Union. (2018). Measuring the Information Society Report. Volume 1. Geneva. Switzerland. On: https://www.itu.int/en/ITU-D/Statistics/Documents/publications/misr2018/MISR-2018-Vol-1-E.pdf

Kurbalija. Jovan. (2013). E-Diplomacy and Diplomatic Law in the Internet Era. in: Katharina Ziolkowski (ed.). Peacetime Regime for State Activities in Cyberspace. International Law. International Relations and Diplomacy. NATO CCD COE Publication. Tallinn- Estonia.

Lüfkens. Matthias. (2016). Twiplomacy Study. Burson-Marsteller. Geneva. June 2016. On: https://twiplomacy.com/blog/twiplomacy-study-2016/

Lüfkens. Matthias. (2018). Twiplomacy Study 2018. Burson-Marsteller. Geneva. July 2018. On: https://twiplomacy.com/blog/twiplomacy-study-2018/

Martin. Todd. (2001). Virtual Diplomacy. E-merge – A student Journal of International Affairs. Volume 2. on: http://www.diplomatonline.com/pdf_files/npsia/volume%202%20archive%20(2001).pdf#page=5

Melissen. Jan. (2005). The New Public Diplomacy: Between Theory and Practice. In: Jan Melissen (Editor). The New Public Diplomacy: Soft Power in International Relations. PALGRAVE MACMILLAN. New York.

Momengoh. Nick Parfait. (2013) Secret Diplomacy: The Practice of Back Channel Diplomacy by Liberal Democratic States. A Dissertation submitted to the Graduate School-Newark Rutgers. The State University of New Jersey In partial fulfillment of the equirements For the degree of Doctor of Philosophy in Global Affairs. Newark. New Jersey.

Nicolson. Harold. (1942). Diplomacy. Oxford Uniersity Press. London.

Nye. Joseph S. (2018). Is Cyber the Perfect Weapon? On: https://www.belfercenter.org/publication/cyber-perfect-weapon

Pierinmi. Gabriele. (2016/2017). Cyber security meets diplomacy: the EU-NATO cooperation and the Italian case. LUISS. Department of Political Science. Master's Degree in International Relations – Global Studies. Chair of Security Studies. Academic Year.

Pierre. Pahlavi. (2003). Cyber-Diplomacy: A New Strategy of Influence. Paper presented to the Canadian Political Science Association General Meeting 2003. Halifax. Nova Scotia.

Saddiki. Said. (2006). Diplomacy in a Changing World. Alternatives; Turkish Journal of International Relations. Vol.5. No.4. on: https://www.researchgate.net/publication/227344613